الجمهوريّة الجزائريّة الدّيمقراطيّة الشّعبيّة

وزارة التّعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الشّاذلي بن جديد الطارف

كليّة الآداب واللّغات

قسم اللّغة العربيّة وآدابها

اثنوغرافيا الخطاب الرحلي بين التوثيق والأدبيّة
في رواية رحلات جزائري
في ربوع افريقيا لنجم الدين سيدي عثمان

مذكرة مقدمة لنيل شهادة ماستر (LMD)

الميدان: اللّغة والأدب العربي

الشعبة: الدراسات الأدبية

التخصص: أدب شعبي

إعداد الطالبة:

–لبنى دريد

إشراف الأستاذة:

–فريدة دريدي

لجنـــة المناقشـــة:

اسم ولقب الأستاذ	الرتبة	مؤسسة الانتساب	الصفة
د. إيمان نوري	أستاذ محاضر (أ)	جامعة الطارف	رئيسا
د.فريدةدريدي	أستاذ محاضر (أ)	جامعة الطارف	مشرفا ومقررا
د.فتيحة عاشوري	أستاذ محاضر (أ)	جامعة الطارف	عضوا ممتحنا

السنة الجامعية: 2026/2025

شكر وتقدير

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصّالحات، الحمد لله الذي نوّرنا بنور العقل، وهدانا إلى طريق المعرفة، وذلّل لنا الصعوبات وفقنا لإتمام هذا العمل المتواضع، فله الحمد حتى يرضى وله الحمد والشكر بعد الرضى، والصلاة والسلام على خير الورى

محمد رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم-

نتقدم بالشكر الجزيل للأستاذة المشرفة –دريدي فريدة– الّتي لم تبخل علينا بتوجيهاتها ونصائحها ومعلوماتها القيّمة، ووقتها الثّمين رغم انشغالاتها فكانت تشجعنا عند الصواب ويصحّح لنا عند الخطأ.

كما نتقدم بالشكر الجزيل

إلى كل أساتذة علم الاجتماع التنظيم والعمل .

الذين رافقونا في المسار التعليمي طيلة هذه السنوات

وكل من ساعدنا من قريب أو بعيد ولو بكلمة أو دعا لنا في ظهر الغيب

فنسأل العالي القدير أن يتقبل منهم

ويجعل في ميزان حسناتهم

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على حبيب المصطفى

سيدنا محمد صلى الله عليه و سلم

إهداء

إذا اتّسعت الرؤية ضاقت العبارة ...

إلى نبع الحنان وقوة العطاء أبي الغالي

-إلى من تتسابق الكلمات لتخرُج معبّرة عن مكنون ذاتها، إلى الّتي تمتهن

الحبّ وتغزل الأمل في قلبي عصفورا يرفرف فوق ناصيّة الأحلام

إلى الّتي كانت دعواتها عنوان دربي وتبقى أمنياتي

على وشك التّحقّق طالما يدها في يـدي أمّي الغالية

-إلى مـــــن كان قوّتي عنـــــدما تســـــلّل الضّعـــــف

في لحظات التّعب إلى قلبي، الدّاعم الأوّل لي

سندي بعد الله زوجي الغالي

إلى من كان كلّ مسعاي يصبّ في سبيل رؤية نظرات الفخر بعيونهم

إلى مصدر سعادتي في هذه الحياة أبنائي

إلى من أشعر بدعواتهم تحيط بي،تلمس عثراتي وتكلّلها بالنّجاحات

إخوتي وأخواتي الأعزّاء أدامكم الله فوق رأسي

إلى كلّ من مدّ لي يد العون ولم يبخل علّي بما تزخر ذاكرته ومكتبته في تجميع

مراجع هذه الدّراسة وتذليل مسالكها الوعرة

إليكم يا أحقّ وأحسن النّاس بصحبتي أهدي ثمرة نجاحي

إليكم منّي أسمى معاني الحبّ ودمتم لقلب أنتم وريده

لبنى وريده

مقدّمـــــة

مقدمـــــة:

ارتبط الأدب بالإنسان، في شتى مناحي الحياة، ونظرا لما يعيشه الإنسان من ظروف وتجاذبات، كان لا بد من ارتباط مواقفه من الحياة بأشكال تعبيرية، تختلف باختلاف درجة استيعابها للواقع بكل ما يحمله من تناقضات، وهذا ما أدى به إلى ابتداع مسالك وأساليب للتّعبير عن مواقفه وتفاعله وصراعه الدائم مع الواقع بكل أبعاده فكان من ضمن تلك المسالك والأساليب الأجناس الأدبية المختلفة التي ما فتِئت تتغير وتتوالد مواكبة مسيرة الإنسان عبر العصور والبيئات.

عرفت الأجناس الأدبيّة تراسلا فيما بينها أي تداخلا في بنية العمل الواحد، فلا تكاد نجد جنسا واحدا أدبيا قائما بذاته دون تداخله مع جنس أدبي آخر مما يعيق تحديدا أي جنس تحديدا صارما،وحصر مفهومه حصرا دقيقا،ومن الأجناس الأدبية التي ذاع صيتها مؤخرا وعرفت رواجا واسعا بين الأدباء والباحثين "الرحلة" التي تداخلت بدورها مع جنس أدبي آخر" الرواية" لتشكّل لنا ما يعرف "بالرواية الرحلية".

وانطلاقا من هذا فقد جاء بحثنا هذا الموسوم بـ: اثنوغرافيا الخطاب الرحلي بين التوثيق والأدبية في رواية رحلات جزائري في ربوع أفريقيا لنجم الدين سيدي عثمان كدراسة وصفية للمجتمع الإفريقي في حقبة زمنية معينة.

وللوقوف على تفاصيل البحث المتعلقة بموضوع الدراسة، لا بد من طرح الإشكالية التالية:

-ما مدى تحقيق النص الرحلي موضوع الدراسة البعد التسجيلي الواقعي مقابل أدبية النص، بوصفه معيارا جماليا، وكيف عبر المتن الحكائي للرواية عن البعد الأنثربولوجي للخطاب الرحلي؟

وللإجابة عن الإشكالية الرئيسة يمكن طـِ-أ-لتساؤلات الفرعي التالية:

مقدمـــة

- ما هي المظاهر التي رصدها الرحالة الجزائري في رحلته إلى أفريقيا؟
- وهل المجتمع الجزائري هو امتداد للمجتمع الأفريقي أم أنه استقل بنفسه عنه وبنى شخصيّته بعيدا عن المجتمعات الأفريقية الأخرى؟

وباعتبار الرحلة سجل يدوّن فيه الرحالة مختلف الجوانب(الثقافية والسياسية والاجتماعية والدينية...الخ) لمجتمع معين قام بزيارته أو سمع عنه، فيهدف بحثنا إلى إلقاء الضوء على البنية الحكائية والسردية للرحلة كفن وكواقع تسجيلي، إضافة إلى ربطها بالمنحى الأنثربولوجي الثقافي الذي يفرضه هذا الجنس الأدبي في علاقته بالمكون الثقافي الشعبي، ولعل أسباب اختيارنا تتراوح بين الأسباب الذاتية والموضوعيةالتي فرضت علينا الخوض في أعماقه أما الأسباب الذاتية فكانت:

- استحواذ الموضوع على اهتمامنا لجدته وقلة الدراسات فيه.
- متعة الرحلة في ارتباطها بالمغامرة و اكتشاف عوالم أخرى.
- محاولة معرفة طبيعة وخصوصية حياة وثقافات مغايرة قد تصنع التميز لارتباطها بمختلف الجوانب(الاقتصادية، والثقافية، والدينية...) في مجتمعات يربطها التقارب والجوارالجغرافي، لكنها قد تكون بعيدة في جوانب أخرى.
- أما الأسباب الموضوعية فمنها:
- جديّة الموضوع وقلة الدراسات فيه خصوبة المادة وثراء ألفاظها وسهولة استخدام أي منهج أدبي لدراستها.
- ثراء الرحلة من الناحية اللغوية.
- إمكانية إيجاد أوجه مقارنة بين المجتمع الجزائري والمجتمعات الإفريقية في كثير من نواحي الحياة، وهو ما يستقطب الكثير الباحثين في الدراسات النقدية المقارنة.

- وللإلمام بالموضوع من جوانبه المختلفة ارتأينا اختيار المنهج الأنثربولوجي في مقاربة النص الرحلي، باعتباره الأنسب لمعالجة موضوعنا، وارتباطه المباشر بوصف حياة المجتمعات، واكتشاف أهم أوصاف المجتمعات الأفريقية، وشرح طريقة عيشها في بعدها الثقافي والاجتماعي والديني والاقتصادي اقتصاده وسلوكها مع وموقفها من الآخر.

اقتضت هذه الدراسةرؤية منهجية لمعالجة الموضوع، والنظر فيه في بعده النظري والإجرائي، حيث قسم إلى مقدمة كإطار منهجي تقتضيه الدراسات البحثية ، وفصلين (نظري وتطبيقي) ثمّ خاتمة كانت إجابة عن الإشكالية المطروحة في المقدمة، وإبراز مختلف النتائج المتوصل إليها في الفصلين النظري والتطبيقي.

وقد تطرقنا في**الفصل الأولالنظري** ،إلى بعض التعريفات لمفاتيح البحث مثل: تعريف الرحلة وأدب الرحلة، تعريف المنهج الأثنوغرافي، علاقة كل من الرحلة والأثنوغرافيا بالأدب.

أما الفصل الثانيالتطبيقي :فتضمّن دراسة تطبيقية انطلاقا من النص الروائي، باعتباره أشد ارتباطابالذات الإبداعية، وتوضيح أهم العناصر السردية التي احتواها النص الروائي في معالجته للإشكالية المركزية (الأنا والآخر) وعلاقتها بالبنية الأنثربولوجية التي يطرحها النص الروائي باعتباره سردا رحليا، يسرد موقفه الإيجابي والسلبي من الآخر، كما ربطنا البعد الرحليوالأنتثربولوجي بمختلف الأبعاد التي تؤطر الحدث السردي كالأبعاد الأيديولوجية، والسياسية، الدينيّة والفنيّة في الرواية.

ثمّ ختمنا بحثنا بخاتمة ذكرنا فيه أهم النتائج المتوصل إليها والغاية الأساسية من بحثنا هي اكتشاف بعض الخصائص التي يتمتع بها كل مجتمع أفريقي، وهذه الخصائص السمات قد تتّفق أو تختلف عن المجتمع الجزائري في كثير من النقاط(اكتشاف الآخر الأفريقي).

أما مكتبتنا التي استقينا منها مادّتنا البحثية فقد تراوحت بين مراجع ومصادر متعددة نذكر منها:

-ج-

- . المدوّنة التي ارتكزت عليها الدراسة(رحلات في ربوع أفريقيا لنجم الدين سيدي عثمان).

- . بعض المعاجم والقواميس العربية.
- .كتاب الرحلة في الأدب العربي لشكيب حليفي.
- .كتاب أدب الرحلة لجميلة دوباش.
- كتاب مقدمة في دراسة الأثنوغرافيا لجوهري علياء شكري.

ولا يخلو أي بحث علمي من صعوبات وعراقيل تواجهه منها:

- صعوبة اقتناء الكتب التي تثري موضوعنا.
- قلّة الدراسات السابقة في موضوعنا.
- ضيق الوقت.

وأخيرا وليس آخرا نتوجه بالشكر الجزيل لكل من ساعدنا في إتمام هذا البحث المتواضع،وعلى رأسهم أستاذتنا الفاضلة"دريدي فريدة" التي أمدتنا بتوجيهات وإرشادات ومادة علمية أضاءت لنا المغاليق المختلفة التي تحيط بجوانب البحث خاصة في الجانب التطبيقي والإجرائي، كما لم تبخل علينا بنصائحها وتوجيهاتها في مراحل البحث سائلين المولى عز وجل أن يضاعف لها الأجر والثواب وأن يمدها بالصحة والعافية.

دمتي منارة في طريق العلم أستاذتي.

الـفصل الأوّل

الفصل الأول: الإطار النظري والمفاهيمي

1 . مفهوم الرحلة لغة واصطلاحًا

2 . مفهوم أدب الرحلة.

3 . مفهوم الانثوغرافيا.

4 . الانثوغرافيا بوصفها ثقافيا.

5 . انتقال الانثوغرافيا إلى الأدب.

6. انتقال مفهوم الرحلة إلى الأدب.

7 . بين الرحلة والرواية.

8 . خصائص أدب الرحلة.

9 . أدب الرحلة الحديث التحول من الوصف إلى الرواية.

10 . علاقة الرحلة باليوميات والشهادات والمذكّرات.

تمهيـــد:

ليس للرحلة تعريف دقيق لأنها جنس أدبي يجمع بين الإفادة والإمتاع،فقارئ الرحلة لاينقل صفات العالم الذي ينتقل إليه المسافر فحسب بل يتعرف أيضا على الأفكار والتصورات التي تسود ذلك المجتمع وتميزه، ثمّ يطبعها بأحاسيسه ومشاعره مما يضفي على الرحلة طابع الأدبية.

- فما هي الرحلة وما هي خصائصها وما هي علاقتها بالأدب؟

1 . مفهـوم الرحلــة:

تعد الرحلة مصطلحا مركبا من مفهومين أو من مصطلحين متلازمين، وهما الرحلة والارتحال .

أ–الرحلــةلغــة:

حظيت الرحلة منذ القدم باهتمام بالغ وواضح من قبل الباحثين، وقـد عرف المصطلح في مختلف القواميس و المعاجم وحظي بشرح مفصل ومطول في العديد من المعاجم نظرا لتداولها بكثرة منذ القدم عند العرب، حيث نجد ابن منظور يعرفها في معجمه لسان العرب ت 711هالإرتحـــال: "هوالانتقال وهو الرحلة والرحلة اسم للارتحال والمسير، يقال دنت رحلتنا ورحل فلان وارتحل وترحل بمعنى انتقل، وفي الحديث في نجابة ولا رحلة، الرحلة بالضم: القوة والجودة أيضا".[1]

وقد وردت في القرآن الكريم في قوله: ﴿لِإِيلاَفِ قُرَيْش .....﴾ –سورة قريش– الآية01– بمعنى الانتقال من مكان إلى مكان،وقد عرّف عند العرب رحلتان الأولى إلى اليمن في الشتاء لأنّها بلاد حارة والثانية للشام صيفا لأنّها باردة بغرض التجارة والصّيد.

وفي لسان العرب لابن منظور أن الترحيل والارتحال بمعنى الأشخاص والازعاج يقال ترحّل الرجل إذا سار وارتحل، ورجل رحول وقوم رحل أي يرتحلون كثيرا، فالرحلّة هنا بمعنى السير[2]فالرحلة هنا بمعنى الحركة وهي ضم السكون فالحركة دليل على الحياة.ويروى بالكسرة بمعنى الارتحال وحكى اللحياني أنه: "لذو رحلة إلى رحلة إلى الملوك ورحلةوقال بعضهم:الرحلة، الارتحال والرُحلة بالضم، الوجه الذي تأخذ فيه وتوريدهيقول: أنتم رحلتي أيالذين أرتحل إليهم".[3]

---

[1]ابن منظور: لسان العرب، تح: عامر أحمد حيدر، مج: 11، الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2003، ص142

[2]المصدر نفسه، ص276.

[3] المصدر السابق، ص 333.

-وجاء كذلك تعريف الرحلة في معجم مقاييس اللغة لابن فارس (ت 395 هـ): "رحل الراء والحاء واللام أصل واحد يدل على معنى في سفر يقال: رحل يرحل، رحلة، يميل لرحيلوذو رحلة، إذا كان قويا على الرحلة والرحلة الارتحال".[1]

-ومن خلال هذين التعريفين نستنتج أن على الرحالة أن يتصف بصفات منها:

-أن يكون قويا ذو همة ومتحملا لمشقة السفر جسديا ونفسيا، وخاصة أن يتمتع بحب وشغف معرفي.

ب-اصطلاحـــا:

تعرّف الرحلة على أنّها: "أحداث سفرعاشها وشاهدها الرحالة، ويتطلب منه أن يكون ذا مستوى ثقافي معين يؤهله لنقل أحداث سفرة وتدوينها".[2]

أي يجب أن يتمتع الرحالة بمواصفات تؤهله لسرد ونقل أحداث سفره وتسجيلها، ويمكننا تعريف الرحلة كذلك على أنّها: "الأمر الذي يقود إلى الحديث عن الرحلة باعتبارها جنسا مؤطرا، بعناصرها ومكوناتها من خلال الاشتراك بين الرحلات في مجموعة من القيود المتغيرات".[3]

أي أن الرحلة وصف لما يراه الرحالة ويشاهده في الواقع بأسلوب وتعبير جميل من أجل إثارة القارئ وتوصيل صورة جمالية لما يراه في الواقع، وبعد تفحصنا لتعريف الرحلة بمفهوميها اللغوي والاصطلاحي، تبين لنا أنّه يجب على الرحالة أن تتوفر فيه شروط وصفات المسافر، ومنها الصحة البدنية السليمة والجيدة، والقدرة على تحمل التّعب وأعباء السفر، وقوة المواجهة والذاكرة القوية،وتتحدد قيمة وغاية الرحلة بقدر ما توفره للرحالة من سد حاجياته التي يفتقدها وسط محيط عيشه.

---

[1] ابن فارس مقاييس اللغة، تج: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ج2، 1979، ص497.

[2] جميلة دوباش: أدب الرحلة في المغرب العربي، أطروحة الدكتوراه، جامعة بسكرة، 2015، ص08.

[3] شعيب حليفي: الرحلة في الأدب العربي، شركة الأمل للنشر والطباعة، أبريل 2002، ص40.

2- مفهوم أدب الرحلة:

بعدما تطرقنا لمفهوم الرحلة لغويا واصطلاحا وجب الوقوف عند مصطلح أدب الرحلة باعتباره مصطلحا مترابطا لمفهومين متلازمين وهما الأدب والرحلة.

فالأدب هو فن ينتقل مشافهة أو مكتوبا ومدونا من جيل إلى آخر، وقد تعدّدت أجناس وأنواع الفنون الأدبية، وتعد الرحلة أبرز الفنون الأدبية:لذلك يعرف أدب الرحلة بأنه: "مجموع الآثار الأدبية التي تتناول انطباعات المؤلّف عن رحلاته في بلاد مختلفة، ويتعرض فيها لوصف مايراه من عادات وسلوك وأخلاق وتسجيل دقيقللمناظر الطبيعية التي شاهدها أو يسرد مراحل رحلته مرحلةمرحلة، أو يجمع بين كل هذا في آن واحد".[1]

فهي بذلك تعتبر تجسيدا لما يراه الرحالة وما يصادفه ويعيشه في رحلاته وسفره من أحداث ووقائع.ويعرف كذلك أدب الرحلة على أنه: "ذلك النثر الذي يتخذ من الرحلة موضوعا، أو بمعنى آخرالرحلة عندما تكتب في شكل أدبي نثري متميز، وفي لغة خاصة، ومن خلال تصور وبناء فني له ملامحه وسماته المستغلة".[2]

إذن أدب الرحلة هو فن نثري من حيث الشكل، أمّا من ناحية المضمون فيهتم أو يختص بالرحالة وبمختلف التفاصيل التي يعيشها ويشاهدها فهو يقوم على التسجيل ،إضافة إلى ارتباطها بلغة تعتد بالأسلوب الأدبي والفنيالمتميّز، ومن المفاهيم الرائجة كذلك لأدب الرحلة أنه:" لون أدبي ذو طابع قصصي فيه عموما فائدة للمؤرخ مثل الباحث في الأدب والجغرافيا، وعلم الاجتماع وغيرهم،كما هو ضرب من السيرة الذاتية في مواجهة ظروف و أوضاع، وفي اكتشاف معالم وأقطار ووصفها"[3]".فأدب الرحلة عبارة عن مجموعة من القصص والروايات لأحداث ووقائع متسلسلة في بيئة معينة، وقعت للرحالة أثناء سفره.

أما **أبو حامد الغزالي**فيرى في أدب الرحلة:" أنه السفر ونوع من الحركة والمخالطة، وفيه فوائد...".[4]

---

(1) عناصر عبد الرزاق الموافي: الرحلة في الأدب العربي، دار النشر للجامعة المصرية، مكتبة الوفاء، ط1، مصر،1995، ص38.

(2) سميرة أساعد: الرحلة إلى المشرق في الأدب الجزائري دراسة في النشأة والتطور والبنية، دار الهدى، 2009، ص34.

(3) عمر بن قينة، في الأدب الجزائري الحديث، تاريخا وأنواعا، قضايا وأعلاما، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط2، 2009، ص97.

(4) أبو حامد الغزالي، أحياء علوم الدين، مج4، دار المنهاج للنشر والتوزيع ، السعودية، ط1، 2017، ص332.

إذن من شروط أدب الرحلة أنّ يكون الرحالة محتكا ومخالطا وكثير الحركة والانتقال من مكان لآخر،باعتباره مجموعة منالنصوص المدونة التي تروي أحداث ووقائع ومغامرات تروي ماحدث، وما جرى للرحالة أثناء تنقله، ويمكننا دمج أدب الرحلة مع علم الجغرافيا والتاريخ والكتابات والرسوم التي تختص بالممالك، فقد اهتمت بوصف الأخطار، والأقاليم، والأماكن، والمناخ على اختلافها وتنوعها، ولكن ارتباطهاواقترانها باللغة الأدبيةمنحها صفة الأدبية، وهذا راجع للخصائص الأدبية والأسلوبية التي يستوجبها أدب الرحلات كغيره من الفنون الأدبية الأخرى.

إذن نستنتج من خلال التعارف اللغوية والاصطلاحية لأدب الرحلة، أنه فن من الفنون النثرية، التي تجسد وتنقل وتترجم أحداث ومغامرات ووقائع جرت وحدثت بالفعل مع الرحالة، حيث يقوم الرحالة بتدوينها وتوثيقها بأسلوب فني نثري قصصي بدون زيادة أو نقصان لهذه الأحداث الوقائع.

وعرّف**إنجيل بطرس**الرحلة بقوله:" الرحلة هي التي يقوم بها الرحالة إلى بلدان العالم ويدون وصفه لها، يسجل فيه مشاهداته وانطباعاته، بدرجة من الدقة والصدق وجمال الأسلوب والقدرة على التّعبير".[1]

من هنا نستنتج أن أدب الرحلة فن نثري يقوم على سرد الذاتووصف الوقائع التي يقوم بها الرحالة،فينقل للقارئ ما يصادفه في طريقه من أحداث ومشاهدات، كما يدمج في ذلك انطباعاته وخياله الفنّي في الوصف والتّعبير.

3. مفهـــوم الإنثوغرافيا:

ظهرت كلمة "انثوغرافيا" للمرة الأولى عام 1772 لدى" المؤرخ الألماني شلانزرshlanzerلكي يتعرّف عن منهج لينيlinny[2]لدراسة تاريخ الشعوب الخاص".[3]

---

(1) انجيل بطرس: الرحلات في الأدب الإنجليزي، مجلة هلال، العدد7 السنة 83، يوليو1975، ص52.

(2) كارل قون لينيي: عالم سويدي مختص في العلوم الطبقية العلوم البيولوجية.

(3) فيليب لابورت: انثولوجيا انثروبولوجيا، ص27.

يستخدم هذا المصطلح بمعنيين مختلفتين، الأول بمعنى البحث الأنثوغرافي أي الدراسة الميدانية، والثاني بمعنى الدراسة الإثنوغرافية،إلا أن الأنثوغرافيا ترتبطعموما بالدراسة المباشرة للمجتمعات الصغيرة أو الجماعات العرقية، وهذا يعني أن الأنثوغرافيا تركز على ثقافة ما أو مجتمع معيّن.

كما أن الأنثوغرافيا تعني الدراسة الوصفية لطريقة وأسلوب الحياة لشعب من الشعوب أو مجتمع من المجتمعات، وقد ارتبط مصطلح الأنثوغرافيا في بريطانيابالبحوث الوصفية التحليلية التي قام بها علماء الانثربولوجيا البريطانيون حول الشعوب والأقوام البدائية كما يهتم الانثربولوجي الاجتماعي بالتحليل البنائي أو التركيبي للمجتمعات البدائية.والواضح أنه هناك ارتباطا وتداخلا وثيقا بين هذين العلمين بخصوص الدراسات العلمية التي يقومان بها حيث:"اتوجد هناك علاقة وثيقة ترابطية بين علم الأثنووغرافيا وعلم الأنثروبولوجيا".[1]فالأنثربولوجيا تعني دراسة الأعراف والسلالاتالبشرية ومن خلال ما تطرقنا إليه سابقا.

يتّضح لنا أنّ علم الاثنوغرافيا يعتمد على وصف ثقافة أو شعب أو مجتمع معين:"ونقصد بالإثنيات الاجتماعية الهيئات الاجتماعية التيتشترك في أنماط ثقافية وسلوكية ممّا يدفع الأفراد إلى احترامها وممارستها".[2]

فالأنتربوولوجيا تعتمد على دراسة الثقافة،والأثنووغرافيا تعنى بدراسة كلّ ما يحتمل الشعوب ثقافيّا وسياسيّا، فالانثربولوجيا تعني بدراسة الثقافات والانثوغرافيا تعني بكل ما يخص الشعوب ثقافيا، ودينيا، وسياسيا، ومن خلال ما تطرقنا إليه سابقا يتضح لنا أنّالأثنوغرافيا تعتمد على وصف ثقافة أو شعب أو مجتمع معين كما تعني بالتحليل والبحثالمتمعّن في العادات والتّقاليد والأدوات، فهي بمثابة مادة علمية تجمع فيها قدر كبيرا من المعلومات حول الشعوب المتفرقة والمختلفة في مناطق متباينة في العالم.

---

[1] د.عبد اللاوي ليندة: محاضرات في الانثوغرافيا، جامعة أوبكربلقايد، تلمسان، كلية العلوم الاجتماعية، ص20.

[2] جوهري علياء شكري: مقدمة في دراسة الانثرولوجيا، الدولية للاستثمارات الثقافية، ط1، 2008، ص19-20.

أ–الإثنوغرافيا لغة:

إنّ عملية تحديد مفهوم المصطلح من الأمور المهمة جدّا في عملية البحث العلمي، ولها دور كبير في الوصول إلى تحديد دقيق للمفاهيم عموما، فبمعرفة المصطلح معرفة أساسية يتمّ بواسطتها الدخول في صلب البحث العلمي، ولا يمكننا الولوج إلى خباياه إلا بفتح هذا الباب لذلك وجب تحديد مفهوم الاثنوغرافيا.

لغة:هي كلمة يونانية مركبة من لفظ "اثنوس" أي الأقلية، ولفظ "كرافوس"أي الوصف والتصوير ليصبح معنى الاثنوغرافيا هو الدراسة الوصفية للشعوب.

وأقرب التعاريف لهذا المعنى ما ورد عند غيرتزوفيترمان Girts Viterman[1]أن الاثنوغرافيا هي فن وعلم وصف جماعة أو ثقافة ومن خلال التعاريف السابقة يظهر لنا مفهوم الاثنوغرافيا وهو دراسة وصفية تحليلية للشعوب، إذ تسجل ثقافة معينة من جميع النواحيوالمجالات وفق معايير وضوابط إذ تقدم لنا العمل من داخل الميدان الثقافي والاجتماعي لمجتمع معين.

–اصطلاحـا: هو فرع من الانثروبولوجيا مجاله الدراسة الوصفية لطرائق وأساليب الحياة، لعرف من الأعراف أو مجتمع أو شعب ما، وخلال الفترات الاستعمارية،كان هذا العلم مهتما بالشعوب الواقعة تحت الاحتلال الذي يضعها في خانة البدائية في فولكلورها وتناقضاتها ونزاعاتها الحربية والطائفية والقبلية فالانثوغرافيا تركز على فهم السلوك في السياق الجماعي عبر مشاركة فاعلة ضمن فريق موضوع الدراسة، كما يوفر تقريرا وصفيا معتمدا على أدوات بحثية مميزة، فهي دراسة وصفية لحياة الشعوب.

وعليه فإن الاثنوغرافيا هي الدراسة التحليلية والوصفية لأسلوب الحياة من عادات وتقاليد وتراث.

[1] الزهرة بوجفجوف: المقاربة الأثنوغرافية في المجتمعات الافتراضية توجه بحثي معاصر في الفضاء الإتصالي الجديد جامعة باجي مختار، عنابة، الجزائر، 2022، ص278.

وقد قام المسلمون العرب مثل: ابن بطوطة والأوروبيون مثل: كريستوف كولومبوس،وقد قاموا بذلك تلقائيا دون قصد وتأكيد لهذا العلم، فالأثنوغرافيا من أقدم فروع المعرفة في علم الانثروبولوجيا عندما قام الأوروبيون بوصف القبائل والشعوب المحلية في أمريكا وإفريقيا وآسيا وأستراليا ووصفوا أدواتهم وتقاليدهم.[1]

فهي تقدم المادة الميدانية من خلال التّسجيل والملاحظة وكذا النشاط الثقافي، أي أن تلك التجمعات البشرية تمتاز ببنية اقتصادية وعائلية واجتماعية متجانسة، وعليه فإن العمل على هذا الأساس يحتوي الجانبين معا، فالاثنوغرافيا تصف لنا الثقافة المادية كما لا تبتعد عن وصف القيم والعادات والتقاليد وصف الجماعة وصفا حقيقيا، ولم تبق حكرا على دراسة الثقافة البدائية فحسب إنّما درست ثقافة المجتمع المعاصر والبيئات المختلفة

ويتّضح لنا ممّا سبق أن الاثنوغرافيا بوصفها وصفا ثقافيا ترتكز أساسا على الوصف الثقافي الشامل والدقيق لمجتمع معين كما أنها توثق أسلوب الحياة وما يحمله من رموز ثقافية وعادات وتقاليد وهذا بغية فهم سلوكاتهم وتفاعلاتهم.

4 ـالاثنوغرافيابوصفهافعلا ثقافيا:

إنّ البحث عن خصوصيات المجتمع الثقافية ومميزات حياته، ونمط معيشته القائمة على عادات وتقاليد تعود إلى زمن بعيد يقودنا إلى اكتشاف عالم غريب عجيب من القيم والمنظومات المتنوعة التي تحتاج إلى عناية فائقة، وذلك من أجل الاستفادة منها معرفة واكتشاف:" فقد كان الرحالة باحثا عن كل شيء، ومتلقفا لكل شيء في مختلف المجتمعات التي مرت بها رحلاته وما تعلق بوصف طائع لبلدان وخصال أهلها وأسلوب حياتها، لذلك كان استخدام مصطلح الاثنوغرافيا في الدّراسات الأنثروبولوجية بوصفه طريقة للتعرف على الثقافات الأخرى وعلى وجه الخصوص الثقافات البدائية وبالتالي استمدت الاثنوغرافيا قواعد تنظيمها وأسسها منه".[2] ونعني بالثقافات البدائية هي التي تملك موروثا ثقافيا من مختلف العناصر.

---

[1] د.جوهري: مقدمة في دراسة الانثروبولوجيا، ط1، ص19.

[2] عبد اللطيف العوفي : البحوث النوعية في الدراسات الاعلامية ، مطابع التقنية للأوفست ، الرياض ، المملكة العربية السعودية ، 1425 هـ،ص292.

كماأنّ هذا المصطلح يسعى إلى: " اعتماد منهج البحث الوصفي أو منهج المسح معتمدا على الملاحظة المباشرة والمسار أحيانا وموجها عنايته الثقافات الإنسانية والظواهر الاجتماعية بالوصفالدقيق".[1]فالاثنوغرافيا تهتم بدراسة الظواهر الاجتماعية للثقافات الانسانية القديمة.

فالاثنوغرافيا: "هي الدراسة الوصفية لأسلوب الحياة، ومجموعة التقاليد والعادات والقيم والأدوات والفنون والمأثورات الشعبية لدى جماعة معينة أو مجتمع معيّن خلال فترة زمنية محددة "[2]يجب أن نحدد زمن الدراسة الاثنوغرافية في مجتمع معين وتناول الجانب الاجتماعي والثقافي والديني ....الخ

ويرى باتون: "أن البحث الاثنوغرافي يعني بالثقافة بشكل خاص فسؤاله الدائم هو ماثقافة هؤلاء الناس؟ وهل يفترض أن أيمجموعة من الناس تعيش مع بعضها لفترة زمنية معينة ستكون ثقافة معينة خاصة بها".[3]

وكلّ هذا يعكس المستوى الاجتماعي والثقافي لمجتمع محدّد وتحدّد خصوصياته على نسق معين في مكان وزمان معينين. وعليه فإن الاثنوغرافيا علم يقوم على وصف الموجود والمحسوس من قيم وعادات وتقاليد وهذا كله يندرج تحت كلمة ثقافة، ولإيضاحفكرة أن الأنثروغرافيا بوصفها وصفا ماديا لابد أن نشير إلى الشمولية وتعني الإلمام بجميع جوانب الحياة نظام اجتماعي عادات وتقاليد، واللغة مع تسجيل تلك المعطيات والحقائق عن طريق الملاحظات والمقابلات التي تكون عموما صادقة كما لا يمكن أن تقتصر على السلوك الظاهري فحسب بل يجب التغلغل في السياقات الثقافية التي تتيح للباحث في الحياة اليومية التعرف وفهم سلوكاتهم وقيمتهم ومعتقداتهم.

5 . انتقال مفهوم الإثنوغرافيا إلى الأدب:

شهدت الحركة الأدبية في العالم عامة حراكا كبيرا في العصر الحديث، ونشاطا واسعا من حيث مجالات التخصص في الدّراسات المتعلقة بالأدب كظاهرة إنسانية عالمية تكسر كل حدود الزمان والمكان.

---

[1] علم الأنسان التطبيقي: arwikipediaorg /wrik /05www 2016/03

[2] حسين فهيم: أدب الرحلات، سلسلة المعارف، المجلس الوطني للفنون والثقافة والآداب،1989،الكويت، ص44.

[3] صلاح فضل: بلاغة الخطاب وعلم النص، دار الكتاب المصري القاهرة ، بيروت، ط1، 2004، ص125.

وإذا كانت بعض النصوص الأدبية تحمل طابعا وصفيا لحياة الشعوب ونمط معيشتهم التي تحكمها مجموعة من العادات والتقاليد:" هذا المنهج هو ذاته ماعرف حديثا بالإثنوغرافيا كعلم تطور وأخذ خصوصياته من علم الأنثربولوجيا وقد تمّ استخدام مصطلح الإثنوغرافيا في الدراسات الأدبية بوصفه طريقة للتعرف على الثقافات الأخرى، وعلى وجه الخصوص الثقافات البدائية، وبالتالي استمدت الإثنوغرافيا قواعد تنظيمها وأسسها منه" [1]

والإثنوغرافيا علم يقوم على وصف الموجودات المرتبطة بالواقع الاجتماعي والثقافي خلال فترة زمنية معينة، متضمنا: " مجموعة القيم والتقاليد والعادات والأدوات والفنون، وكلّ المأثورات الشعبية لدى جماعة معينة أو مجتمع معين خلال فترة زمنية محدّدة".[2]

فالمنهج الإثنوغرافي يرتكز على بنية اللّغة والأساليب الفنية التعبيرية في تقديم العرض، وما هو ملاحظ من مجمل ما وصلنا من مؤلّفات في مجال الرحلة، أن جل الرحالة القدامى جمعوا مادتهم ودونوها على أساس منهجي،تبعالما هو متعارف عليه في ميدان الإثنوغرافيا حديثا، فكثير من الرحالة أمثال المسعودي والبغدادي وابن بطوطة وأبي عبد الله ياقوت والإدريسي...الخ وغيرهم كثير، قد عملوا على إنتاج نصوص قائمة على مميزات وخصائص المنهج الإثنوغرافي الوصفي، ويعد المنهجالإثنوغرافي في النصوص الأدبية مقارنة نقدية وتحليلية تهدف إلى دراسة الفنون الأدبية خاصة الروايات، والسير الذاتية، وأدب الرحلات، والقصص كوثيقة ثقافية تعكس حياة مجتمع ما،في عاداته، وتقاليده، وقيمه، وليس كمجرد عمل فني خيالي، حيث يركز على تفكيك النص واستخلاص الوصف الثقافي الكامن في،أي تحويل النص الأدبيإلى مادة علمية لدراسة الحياة الاجتماعية والثقافية.

وللتحليل الإثنوغرافي عناصر مهمة في دراسة الأدب، حيث يركز هذا المنهج على:

-السلوكيات والطقوس: كعادات الأكل واللباس والاحتفالات والطقوس اليومية.

-اللغة والرموز: تحليل الحوارات واللهجات، والأمثال الشعبية.

---

[1] عبد اللطيف العوفي: البحوث النوعية في الدراسات الاعلامية، مطابع التقنية للاوفست، الرياض المملكة العربية السعودية، 1425، ص292.

[2] صلاح السامي: الإسلام والفكر الجغرافي، مطبعة الإسكندرية، مصر، ط2، 1999.

-المكان والزمان: رسم صورة جغرافية وتاريخية من خلال النصوص.

أصبح أدب الرحلة قالبا أدبيا تداخلت فيه الإثنوغرافيا مع الأدب، حيث أصبح الرحالة يصف عادات وتقاليد وطبائع سكان المنطقة التي يزورها اعتمادا على الملاحظة،وأحياناالمشاركة بأسلوب سردي قصصي لجذب انتباه القارئ.

فالمنهج الإثنوغرافي أصبح يطبق على الأدب بصفة عامّة، وعلى أدب الرحلة بصفة خاصة من حيث وصف ثقافات الشّعوب ومظاهر الحياة المعيشية لمنطقة ما.

6- انتقـال مفهوم الرحلة إلى الأدب:

إنّ مصطلح النقد لم تعرفه لغتنا إلا في العصر الحديث بعد الاتصال بالغرب،و هو ترجمة حرفية للمصطلح الذي يعني مجموعة الأساليب المتبعة لفحص الآثار الأدبية والمؤلفين القدامى والمحدثين و"كشف الغامض وتفسير النص الأدبي والإدلاء بحكّم عليه في ضوء مبادئ أو منهاج بحيث يختص بها ناقد من النقّاد".[1]

"ومنذ القرن السادس عشر في انجلترا وايطاليا والسابع عشر في فرنسا وألمانيا أصبحت وظيفة الأديب مستقلة معترفا بها ويعد النقد الأدبي أساسها النظري، لذلك دخلت فكرة النظرية الأدبية بما لها من قواعد وفلسفة فنون وعلم الجمال، في حيز مفهوم النقد الأدبي".[2]

وما يزال الجدال قائما حول ماهية الأدب وعليه فإن النقد أوسع وأشمل من الأدب فيجد ذاته إذ يعتبر النقد بمثابة تقويم الأعمال الأدبية والفنية ويحللها تحليلا قائما على أساس علمي، تتجلّى علاقة الرحلة بالأدب من خلال النصوص الأدبيّةالموثقة للعاداتوالتقاليد والظواهروالتقاليد الاجتماعية والثقافية للمجتمعات موازاة مع النصوص المؤرخة لأدب الرحلة في الأدب العربي، ويتميز أدب الرحلة بالمزاوجة بين الموضوعية والذاتية الممتزجة بعواطفه ووجدانه وبمزاجه، فتنتقل من تصوير الحقيقة وبث الواقعبأسلوب أدبي يعتمد على آليتيالقص والحكي.

---

[1] شنوان حمزة: النقد الثقافي في النظرية الأدبية، مذكرة لنيل شهادة ماستر، كلية الآداب واللغات والعلوم الاجتماعية والإنسانية، 2011/ 2012، ص02.

[2] محمد كريم الكواز،البلاغة والنقد، المصطلح والنشأة والتجديد الانتشار العربي-بيروت، لبنان، ط1، 2006، ص57-58.

فالكتابة الرحلية تتّخذ من السرد والوصف والأسلوب الشعري عناصر مهمة في العملية السردية، معتمدة على الخيال في وصفالمشاهد والوقائع التيرآها في الواقع ثم تذكرها ونسج عليها روايته، فالنص الرحلي الحديث خليط بين الواقع والخيال والرحلة بهذا المعنى: "نص حامل للسيري والبيبليوغرافي في شكل حكايات مشاهدة أو مسموعة أو مقروءة بناءا على رؤية جمالية تلتقط اللامألوف والعجيب".[1]

وهذا ماجعل معظم النقّادوالدارسين يخرجون أدب الرحلة من الأدب الرسمي، ويجعلونه تحت الأدب الشعبي الذي يزخر بالروايات الخيالية والأساطير.

والتخيل في الرحلة ليس كذبا بل هو عنصر فنّي، ورؤية لأشياء تتضمن رؤية وموقفا من العالم الذي يراه الرحالة، وقد تصطدم بتصوارته القبلية، وهنا تعد الرحلة تعبيرا عن آراء الرحالة وتأملاتهالموصولة بآماله وأحلامه وخيالاته.

وفي بيان التأثير الذي يمارسه النص الرحلي على النص الروائي، يمكن للكاتب الروائي أن يستخدم خبراته ورواياته في السفر كمصدر غني للإلهام وكتابة رواية مشوقة،وتشكل التجارب الشخصية والمشاهد الواقعية التي عاشها في رحلاته أو سفرياته، أحداث واقعية تعيشها الشخصيات في الرواية.

يمكن أن يدمج الكاتب عناصر واقعية من مغامراته السفرية في إطار خيالي،ليصف بعمق وواقعية أحداث الرواية وهنا يجعل القارئ يتجاوز الحدود بين الواقع والخيال.

وصفوة الحديث أن العلاقة بين النص الروائي والنص الرحلي علاقة مركبة متعددة الأوجه، فكلاهما يتناول التجارب المناسبة ويكشف مشاعر وأفكار الكاتب أو المسافر كما يشكلان قالب الترابط والتكامل ويمنحان بعضهما أبعادا جديدة، حيث تصف الرواية لمسة.بين الخيال على الرحلة بينما هذا الأخير يعطيهما لمسة واقعية وهكذا يشكلان معا نافذة مهمة تطل من القارئ أو المتلقي على العالم ويتعرّف على مختلف الثقافات.

---

[1] شعيب حليفي ، الرحلة في الأدب العربي، ص400.

7. بين الروايــة والرحلــة:

كلّ من الرواية والرحلة فن سردي يعتمد على الحكاية والوصف كأداة سردية لهما، لكنهما يختلفان في المرجعية والهدف وطبيعة السرد، إنّ الرواية لها مرجعية خيالية، مما يكسبها جانبا إبداعيا، وتنتمي الرواية إلى خطاب تخييلي لايطالب بالتصديق الحرفي، بل يسعى إلى بناء حقيقة فنية قد تكون أعمق من الواقع ذاته، في حين أنّ الرحلة لها مرجعية واقعية،فالرحالة يقدم بوصفه شاهدا على العالم ينقل فيه مارآه وما عايشه.

يختلف الهدف الأساسي بين الرواية والرحلة، فهدف الرواية خيالي يؤثر في القارئ ويثير مشاعره، بينما يهدف النص الرحلي لنقل معلومات موثقة عن الأماكن والعادات والتقاليد، ويسعى بأسلوب مشوّق إلى مشاركة القارئ لتجاربه الشخصيّة في الرحلة.

تختلف بنية الرواية عن الرحلة ففي الأولى يتم ترتيب الأحداث بشكل متخيل، قد لا يتوافق مع الترتيب الزماني، بينما يتم ترتيب الأحداث في النص الرحليبسلم زمني متسلسل، يعبر عن مسار رحلة الرحال، كما تتفق الرواية مع الرحلة في سرد الأحداث سواء كانت حقيقية أو متخيلة.

يركّز كل من النوعين على العنصر البشري، سواء كان ذلك من خلال الشخصيات الروائية أو من خلال تفاعل الرحالة مع مختلف الأشخاص في رحلته.

يلعب الوصف دورا هام في كل من النص الروائي والنص الرحلي، ففي النص الروائي يستخدم الوصف لخلق صورة حية للأحداث والأشخاص والأماكن، بينما يستخدم الوصف في النص الرحلي لتقديم صورة مفصلةعن الأماكن والعادات ...إلخ، التي لاحظها.

. تستخدم اللغة في كل من الرواية والرحلة في التعبير عن الأفكار والمشاعر، ففي الرواية يوظف الكاتب مختلف الأساليب اللغوية لبناء روايته، بينما تستخدم اللّغة في النص الرحلي لتقديم معلومات موثقة ونقل تجارب الرحالة للقارئ.

8 . خصائص أدب الرحلة في الأدب العربي:

تميّـز وانفرد أدب الرحلة عن باقي الفنون الأدبية الأخرى، بعدةمميزات تتجلى في الكتابة الرحلية، والتي بدورها تميزها عن باقي الأجناس النثرية الأقرب والتي تتمثلفي العناصر التّالية:

1–هيمنـة بنيـة السفـر والانتقال:

إذا كان الإنسان لايستغني عن الحركة في حياته، والتنقل من مكان إلى مكان آخر لأجل قضاء حاجته، فإن العمل الأدبي أيا كان يساير هذه الحركة المتعلقة بالإنسان، مادام أنّه يحاكي واقعه، ويصف علاقته بالعالم الحارجي، ويشرح مصيره " فهيمنة بنية السفر تمنح الرحلة التعدّد والغاية، إذا السفر يصبح في ثنايا السرد نابعة من بنية السفر"[1]،أي أن الرحالة تكون فكرة السفر مهيمنة عليه ومسيطرة على مشاعره، ويكون لديه شغف الانتقال واكتشاف الأماكن والاستطلاع على مختلف العادات والصفات المميزة لجغرافيا العالم أو المجتمعات.

2–هيمنة السرد الذاتي:

حيث يستخدمالأديب أو القصصي الأسلوب الذاتي، وهو حضور الأنا بكثرة في قص وسرد الأحداث، أي حضور الذات بكل ما تحمله من رؤى وما تؤمن به من أفكار في الخطاب الرحلي، ما دامت الرحلة سرد للسفر الذي قامت به الذّات.

3–الواقعيـــة:

الرحالة بطبعه شخص واقعي عاش في فترة زمنية معروفة،كما الشخصيّات الذين يتحدث عنهم أيضا أشخاص واقعيون عاشوا في زمان ومكان معروف،كما تعتبر الأماكن الموصوفة كذلك حقيقة واقعية، وبهذه الواقعية ينفرد ويتميز أدب الرحلة عن الرواية، والمقامة، واللتان يطغى فيهما ويهيمن عنصر الخيال.

---

[1] جميلة روباش: أدب الرحلة في المغرب العربي، مذكرة ماجستار، جامعة باتنة،2015/2014، ص14-15.

4 . دور الخطاب بالرجوع إلى نقطة الانطلاق:

فالخطاب يبدأ مع انطلاق الرحالة من موطنه ويسير معه إلى المكان المقصود،وأحيانا كثيرة يعود إلى نقطة الانطلاق عبر خطاب الذاكرة، وهكذا يدور مع الخطاب إلى غاية انتهاء السفر.

5. تعدد المضامين وتداخل الخطابات:

تتعدد وظيفة الرحالة بتعدد المواقف التي يشاهدها ويكتبها، وهذا إنما نابع من طبيعة هذا الجنس الأدبي الذي يعبر عن فكرة : " التنوع في الهوية الثقافية والاجتماعية للرحالة المؤلف مابين أديب ومؤرخ وجغرافي ومضيف وسفير، وغيرها من الصفات التي تطبع هويته، وبالتالي النص الرحلي"[1]إذن الرحالة يحمل عدة صفات وسمات أخرى فهو أديب يستعمل القلم تعبيرا عما يختلج صدره مما رآه في رحلته، وهو مؤرخ ينقل تاريخ وآثار تلك المنطقة التي مرّبها، وهو جغرافي يعبر عن آثار تلك المنطقة وهذه الآثار تضفي صفات معينة على أهل تلك المنطقة فليس أهل البدو كأهل الحضر، وليس سكان الكهوف كسكان المدن، وليس سكان الصحراء كسكان التلال.

وكذا "التنوع في الأشكال الرحلية وبالتّالي وفي الأسئلة التي تجعل منها موجها إدراكيا ومنتج للخطابات كماهي منتجة للمعارف"[2] أي أن الرحلة بما تحمله من أفكار هي وسيلة لنقل المعارف والعلوم من مجتمع لآخر.

إضافة إلى هذه الخصائص، فأدب الرحلة يتميز كذلك بأنّه أدب لا يخل من الفكاهة والمرح والسخرية،إضافة إلى أنه يحفل بالقصص الحقيقية والخيالية والأساطير المعتمدة على أسلوب مشوق، وهذا ماأكّدته الباحثة نوال عبد الرحمان الشوابكة حين قالت:"ولعل أبرز ما يميز أدب الرحلات، تنوع الأسلوب من

---

[1] شعيب حليفي: الرحلة في المغرب العربي، ص19.

[2] المرجع نفسه ص10.

السرد القصصي للمغامرات والعواطف المحركة للبشر، إلى الحوار والوصف الطريف وغيره، وبما فيه من متعة ذهنيّة".[1]

فالرحلة أقرب ماتكون إلى القصة أو الرواية إذ يكون أسلوب التشويق والمغامرات محورا رئيسيا لها، كما نرتبط بالوصف كميزة أساسية حيث يقوم المؤلف بوصف الرحلة،والأماكن، والمعالم، والطبقية، والتاريخ، واللباس، والعادات والتقاليد...الخ، وصفا دقيقا مع ذكر مراحل الرحلة خطوة بخطوة.

تهتم الرحلة بتسجيل المعلومات الجغرافية حول المناطق الأماكن التي تم زيارتها مثل يصف التضاريس، الجبال، السهول ...الخ التي تزخر بها المنطقة لأن طبيعة هذه التضاريس تؤثّر على السكان الموجودين فيها.

كما تعد وصفا للعادات والتقاليد السائدة عند السكان فيدونهاويوثقها، ومن خلالها يمكن قراءة توجه السكّان الفكري، وانتمائه وهويته.

كما تعتمد على نقل التاريخ بصورة واقعية، حيث لا زيادة فيه ولا نقصان ولا مبالغة ولا تقصير فهي نقل صادق وواقعي، فيسرد قصص حول شخصيات حقيقية، وأماكن معروفة وواقعية في زمن ووقت معين ومعروف.

9 . أدب الرحلة الحديث التحوّل من الوصف والتسجيل إلى الرّواية:

يعد أدب الرحلة جنسا أدبيا يهتم بوصف حياة الفرد والشعوب التي يزورها الرحالة ويعايش سكانها"فيصنف تفاصيل حياتهم ومعيشتهم بأسلوب ممتع يجذب القارئ، ويجعله يواصل القراءة من البداية حتى النهاية دون الشعور بالملل"[2]، أي أن الرحال يتمتع بأسلوب قصصي مشوق يجذب القارئ لإعادة قراءتها والرجوع إليها عدة مرات، يقول صاحب معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب" إن أدب الرحلات مجموعة من الآثار الأدبية، التي تتناول انطباعات المؤلف عن رحلاته في بلاد مختلفة، وقد يتعرض فيها لوصف مايراه من عادات

---

[1] نوال عبد الرحمان الشوابكة: أدب الرحلات الأندلسية والمغربية حتى نهاية القرن التاسع الهجري، دار المأمون للنشر والتوزيع، ط1، المملكة الأردنية الهاشمية، ص55.

[2] مذكرة ماستر تفاعل المكان والمعرفة في حركة التواصل الرحلاتي رحلات أبي رأس الناصري،2024/ 2025، ص17.

وسلوك وأخلاق، وتسجيل دقيق للمناظر التي يشاهدها، أو يسرد مراحل رحلته مرحلةمرحلة، أو يجمع بين كل هذا في آن واحد"[1]،فالرحالة مرآة عاكسة للواقع الذي يمر به الرحالة في كل منطقة.

ونظرا لأهمية أدب الرحلة، فقد حاول محمد يوسف أن يلخص أهميته بقوله:" قيمتهمتأتية من أنها تصويرلتأثر الكاتب بعالم جديد لم يألفه، والانطباعات التي تتركها في نفسه"[2] فكل ماكان يمر به الرحالةيؤثر فيه ويولد لديه انطباعات وأحاسيس يبثها في روايته، لينتقل تأثيرها إلى القارئ.

يعد الوصف عنصرا مهما في أدب الرحلة، اعتمد عليه أغلب الرحالة في نقل مشاهداتهم وارتساما تهم عن كل ما عاينوه، "والوصف عنصر ضروري لا بد منه ولا يمكن أن يستغني عنه الرحالة، فهو الذي يضفي على الرحلةنكهة خاصةتشد إليها القارئ ومن دونه تصبح لا قيمة لها"[3]، إذن فالوصف هو الذي يبني ويؤثث الرواية، مما يجعل قارئ الرواية أكثر شغفا وارتباطا بها.

وعندما نتحدث عن الوصف فهذا يعني أن الرحالة يصف المسالك والممالك وصفا جغرافيا، وحسيا للأماكن، لذلك شهد أدب الرحلة الحديث تحول في بنيته ومضمونه، حيث انتقل من مجرد وصف إلى كونه رؤية ذاتية، وفلسفية اتجاه العالم الآخر، وهذا ماجعل الرحالة ينتج ويبدع في أعماله، وهنا يظهر المزج بين الواقع والخيال،وهذا ما يزيد من انجذاب القارئ إليها، وتتجلّى هذه الصفة في أدب الرحلة لأنّه لا يمكن لأي عمل أن يكتمل بدونها. ولا بد من الإشارة إلى الملامح التي يتّصف بها هذا التحول الذي يعكس ذاتية الرحالة وشخصيته وتفاعله مع الآخرين، فالراوي في أدب الرحلة هو كاتب وجغرافي، ومحلّل وناقـد، ولم يعد مجرّد واصف فحسب.

1 . التحول في وظيفة النص من التوثيق إلى التأمل:

---

[1] مجدي وهبة وكامل مهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، ط2، 1948، ص16.

[2] ناصر عبد الرزاق العلوي، أوروبا في مرآة الرحلة صورة الآخر في الرحلة المغربية المعاصرة، الأهلية للنشر والتوزيع، ط1، 2026، ص05.

[3] أحلام عثامنية: محاضرات في أدب الرحلة الجزائري، قسم اللغة والأدب العربي، جامعة 8 ماي 1945، قالمة،2020/2019، ص45.

"لا يقف سرد الرحلة عند مجرد المتعة السمعية"[1]، بل هناك المتعة التأملية في أدب الرحلة التي تنشأ عن كون الرحلة وثيقة تاريخية شاهدة على مرحلة محددة من الزمان والمكان والإنسان، فالرحلة حين يسجلها صاحبها يعرف أنها: ستقرأ في كل زمان آت، لهذايتحربجانب الصدق والأمانة[2]لهذا فالنص الرحلي قد تعدى حدود التوثيق إلى التركيز على الأحاسيس والمشاعر التي يتمتع بها الرحالة، والتي ينقلها بدوره إلى المتلقي، متجاوزا النقل أو السرد المباشر، إلى التحليل وتقديم نظرة خاصة به تميزه عن الآخرين، وذلك بإعطاء وجهات نظره ومواقفه الفكرية والاجتماعية، التي تعبر عن ذاتيته ومشاركته في صنع الأحداث وتوثيقها أدبيا وفنيا، إذن فأدب الرحلة انتقل من مجرد نقل التاريخ المميز لكل منطقة إلى فنّ أدبي.

2–التحوّل من الموضوعية إلى الذاتية:

ونقصد بذلك أن الرحالة لم يعد ناقل فقط للأحداث والمجريات، بل أصبح يمزج بين ماهو واقعي وما هو متخيل وذاتي يرتبطبالعمق الوجداني والنفسي، حيث يصوّر المكان من خلال وجهات نظره وانطلاقا مما تفرضه السياقات الثقافية والاجتماعية.

3 التّحوّل في البنية الفنيّة: يعتمد أدب الرحلة كشكل من الأشكال الأبية على السرد والوصف والتأمل، كما يمزج بين عناصر الرواية والقصة، وهذا ما يضفي على عمله طابعا خياليا وجماليافينتقل من دائرة السرد والمحاكاة، إلى عالم الخيال والإبداع.

وقد اكتسب أدب الرحلة هذا التنوع الأسلوبي لارتباطهبأجناس أدبية مختلفة فأخذ من كل جنس أدبي ميزة معينة جعلته أكثر تميزا وانفتاحا، وهذا ما زاده جاذبية" وكونه ملتقى فنون وعلوم متنوعة".[3]

10 . علاقة الرحلة باليوميّات والشهادات والمذكّـرات:

---

[1] شفيقة بن الشارف: أدب الرحلة الجزائري، المجلد11/ العدد01، جوان 2024، ص865.

[2] المرجع نفسه، ص450.

[3] المصدر السابق، ص865.

ارتبطت إشكالية تداخل الأجناس بالآداب الحديثة، في جين كان لها جذورا تاريخية منذ القدم، ففي الآداب اليونانية شكلت الملحمة تداخلا، ميتافيزيقي في تآلف الأنواع، وتلاحمها بصورة جعلت الملحمة في ذاتها نوعا أدبيا قائما بذاته "وهي في الواقع صيغة من أنواع أدبية شتى، فقد عاشت وعايشت بتنوعها وتراثها، مختلف الفنون القولية والايقاعية".[1]

ويعد تدخل الأجناس ظاهرة بدائية، حيث تتجاوز الحدود بين الأنواع شعر، مسرح قصة، يوميّات وذلك بغية إثراء النص وإضفاء صفة الجمالية عليه، كما يعد من الظواهر الفنية الواضحة في الأدب المعاصر، وهذا ما أدّى إلى كسر النمطية وزيادة الجاذبية الأدبية لمثل هذا التداخل فتعدد دلالاته.

يعرف الجنس الأدبي أنه: "اسم دال على كثرة مختلفين بالأنواع كلي مقول على كثيرين مختلفين بالحقيقة."[2]،أما الجرجاني فحاول توسيع تعريف الجنس أنه يدل على الكثرة أي أنه شامل واختلاف في الأنواع[3] وعرفه الخوارزمي بقوله الجنس ماهو أعم من النوع مثل الحي فإنه أعم من الإنسان والفرس والحمار.[4]

ومن خلال هذه التعاريف يمكن أن نلخص أنّ الأجناس الأدبية مجموعة من الأعمال الأدبية تصب في قالب مشترك.

يتجلى" تداخل الأجناس الأدبية من خلال الإحالة التي يقوم بها نص إلى نص آخر"[5]وهذا يدل على استحضار التوثيق والذاكرة كجزء مهم في المذكرات اليوميات، ودمجها في السرد الروائي لجعل هذا النوع أكثر واقعية وحيويّة.

---

(1) نبيل حداد: تداخل الأنواع الأدبية، المجلد الأول، عالم الكتاب الحديث وجدار الكتاب العالمي، الأردن، ط1، 2009، ص1712.

(2) قسمومة الصادق: نشأة الجنس الروائي بالمشرق العربي، دار الجنوب للنشر، تونس، ط1، 2004، ص99.

(3) المرجع نفسه، ص29.

(4) محمد بن أحمد بن يوسف الخوارزمي، تح: إبراهيم الأنباري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط2، 1989، ص165.

(5) خديجة صالح: تداخل الأجناس الأدبية من منظور النقد العربي القديم، مجلة إشكالات، العدد 10، ديسمبر 2016، ص93.

. مفهوم اليوميات والمذكرات:"أدب المذكرات أو اليوميات أو أدب الاعتراف، كلها مفردات تقضي إلى معنى واحد وهو التدوين"[1]وتسجيل لأحداث واقعية يعيشها شخص ما بكل تفاصيلها، سواء أكانت هذه الأحداث واقعية مأخوذة من الحياة اليومية وهنا تتقاطع مع السيرة الذاتية خاصة إذا دونها صاحبها، أما إذا ركزت على تدوين أحداث تاريخية أو أدبية فتكون بمثابة وثيقة تاريخية تتقاطع مع فنّ المقال.

ويعرف أدب المذكرات بأنه:"جنس جامع لضروب الكتابة السردية،يتخذ من الذات واليوميات الخاصّة والاعترافات والرسم الذاتي،تعبيرا عن الأنا"[2]،وعليه فإن الصفة الغالبة على هذا النوع الأدبي، والفني هو السرد بلغة الأنا مباشرة، فهو المعبر بلسانها دون الخضوع لقيود الجنس الأدبي وخصائصه، بل يعتمد هذا الجنس على الشعور الذاتي وما ينتاب النفس البشرية من مشاعر وأحاسيس صادقة، وهذا النوع من الكتابة "وأن اختلفت فيما بينها وتنوع توظيفها لتقنيات السرد، فإنها تلتقي في اعتماد حياة المؤلف مصدرا للكتابة ومادةلموضوعها".[3]

إذ يلتقي أدب الرحلة، باليوميات والرواية والسير الذاتية في العنصر القصصي الصادر عن الذات الواعية، فتتقارب المفاهيم بين السير الذاتية وفنّ المذكرات واليوميات والسرد الروائي، كون هذه الأنواع السردية تجمع بين خاصية مشتركة وهي: "التحري التاريخي والإمتاعالقصصي، ويراد به درس صور حياة فرد من الأفراد ورسم صورة دقيقة لشخصيته".[4]

فالمذكرات هي واحدة من الفنون النثرية المتولدة عن تداخل الأجناس الأدبية مثل السيرة الذاتية،والرواية وأدب الرحلة والرسائل، ولهذا كثيرا ما نجد الروائي من دون وعي يجد نفسه يقتحم أدب السيرة الذاتية، وذلك لأن كليهما" شكل من أشكال الأدب الواقعي والخيالي القائم على الحكي،والتعبيرالواقعي عن وجوده الخاصمركزا على حياته الفردية وتاريخ شخصيته".[5]

---

(1) خولة بوصيع: التداخل الأجناسي بين الرواية والمذكرات، مجلد15، 2025، ص107.

(2) محمد القاضي وآخرون: معجم السرديات، دار محمد للنشر، تونس،2010، ص354.

(3) فاتح رجب قدارة: التأريخ للأحداث المعاصرة من خلال المذكرات والشهادات الشخصية، مجلة أسطور، العدد6، المركز العربي للأبحاث والدراسات، ليبيا، يوليو 2017، ص82.

(4) جبولر عبد النور: المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، لبنان، بيروت، ط2، 1984، ص30.

(5) فاتح رجب قدرة: مرجع سابق، ص82.

ويتقاطع كذلك أدب الرحلة مع المذكرات حيث يتميز "بأنّه تسجيل مقرون في معظم حالاته بالوصف والتحليل والتّعليل والمقارنة الجلية والضمنية وإصدار الأحكام"[1]، وهنا يظهر أوجه التقاطع والتشابه بين أدب الرحلة والمذكرات، في التدوين والنقل الموثق، عن تجربة ذاتية واقعية.

وتشترك كل من اليوميات والمذكرات والرسائل في خاصيتي السرد والوصف،مما يجعلها تتداخل مع بعض لتتشكل أجناس أدبية المستحدثة.

خلاصـــــة:

وانطلاقا مما تقدم يمكن القول أنالرحلة تتميز بالطرافة في نقل الواقع والعواطف والأحاسيس المحركة لحياةللبشر، في أماكن محددة وفي أزمنة محددة، وقد لاقى تعريف أدب الرحلة صعوبة في التحديد الدقيق نظرا لاختلاف وتشعب الرؤى، وقد جمعها شعيب حليفي في كتابه الرحلة في الأدب العربي وهي:

1 . غياب تعاريف دقيقة سواء عند الرحالة أو اللغويين العرب.

2 . وجود نصوص رحلته كثيرة ثرية ومتنوعةلما صعب تحديد مفهوم جامع.

3. انفتاح النص الرحلي على عناصر أخرى متحركة تحضر أو تختفي بدرجات متفاوتة بين النصوص.

ويقوم أدب الرحلة على أسس أهمها:

.فكرة الذهاب والإياب.

. الكتابة والتدوين.

. هيمنة بنية السفر على عناصر البيئة.

. أدب الرحلة جنس حواري من ناحية الشكل، يتداخل فيه الشعروالنثر.

. أدب الرحلة جنس تعليمي.

[1] محمود حسين: أدب الرحلة عند العرب، دار الأندلس، بيروت، ط2، 1983، ص6.

ولكن مهما اختلف التعريفات وتناقضت، يبقى أدب الرحلة يجمع فن يجمع بين الرؤيا والإيديولوجيا، وبين الفنية والجمالية.

أمّا الأنثوغرافيا، فهي منهج علمي يدون ثقافات وعادات وتقاليد ثقافة أو شعب معين،بطريقة وصفية تعتمد على الملاحظة المباشرة والمشاركة أحيانا، ويوجّه عنايته بالثقافات الإنسانية والظواهر الاجتماعية، وسنحاول في الفصل القادم أن نسلط الضوء على رواية نجم الدّين سيد عثمان رحلات في إفريقيا، من خلال ربطه بالعنصر التسجيلي الواقعي والمعايير الأدبية التي حققها النص، في بعده الأنثربولوجي والأدبي.

الفصل الثّاني

الفصل الثاني: تجلّيات الخطاب الرحلي في رواية "نجم الدين سيدي عثمان"

تمهيد

1-ارتباط الرواية بالذات الإبداعية.

2-استعماله للعناصر السردية التي تؤكد ذاتيته (ضمير الأنا ونظرته للآخر الافريقي)

3-أبعاد الخطاب الرحلي في الرواية.

1.3-البعد الايديولوجي والسياسي.

2.3-البعد الديني.

3.3- البعد الثقافي:

أ-العادات والتّقاليد

*اللباس

*الأكل

*المباني

*الزواج

ب-المعتقدات الشعبية:

-السحر والشعوذة

-الأساطير والخرافات

3.4-البعد الفني والأدبي:

-اللّغة وجماليتها في الرواية.

-استعمال أسلوب المفارقة (التضاد).

-استعمال أسلوب السخرية والتهكم.

-استعمال الصور الفوتوغرافية.

-جمالية السرد والوصف.

-الصور البيانية.

-المكان والزمان.

خلاصة

تمهيـــــــد:

لقد اعتنى الباحثون الجزائريون بفن الرحلة ،إذساهموا مساهمة واضحة في كتابة الرحلات ولاسيما خلال ق20 حيث سافر معظم الكتاب والشعراء و الاعلاميين إلى شتى بقاع العالم في مهمات رسمية وأخرى سياسية،وثقافية قصر بعضها وطال بعضها ،لكن الذين رصدوا تفاصيل رحلاتهم وكتبوا في الانسان والمكان في إطار أدب الرحلة قليلون جدا وان كان عدد من دونوا رحلاتهم قليل فان اكثر هم اتجهوا إلى أوروبا و العالم العربي وآسيا، أما افريقيا فلم يكن لها نصيب وافر ومن القلة الذين سافروا إلى افريقيا الكاتب والراوي والصحفي نجم الدين سيدي عثمان الذي يعد من اشهر الرجالة الروائيين الذين دونوا رحلاتهم في افريقيا ونقلوا للعالم صورا عن هه الشعوب التي ارتحلوا إليها في محاولات منهم لكشف هذه القارة المليئة بالخيرات والثروات التي جعلتها مطمع المستعمر.

1-ارتباط الرواية بالذات الإبداعية:

تعد الرواية في أبسط وأشمل تعاريفها" ذلك الشكل الأدبي الذي يقوم مقام المرآة في المجتمع، مادتها الإنسان وأحداثها نتيجة صراع الفرد مدفوعا برغباته ومثله ضد الآخرين، وربما ضد مثلهم أيضا".[1]

وما دامت مادتها الإنسان فهذا يعني أن الذات وما يرتبط بها من قضايا وعلاقات هي أساس الرواية،ذلك أنها تعبير عن ذات فردية أو عن أقلية أو عن طائفة معينة

ولعلّ الباحث في النتاج الروائي يمكنه أن يستشعر خصوصية حضور الذات الإبداعية تبعا للظروف والسياقات، وعند الحديث عن ارتباط الرواية بالذات الإبداعية يتجلّى ذلك الارتباط العضوي فهي ليست مجرد سرد ووصف للأحداث، بل هي بمثابة المرآة العاكسة التي تعكس ما يختلج في نفسية الكاتب، وعرض تجاربه الخاصة، فالنص الروائي بمثابة فضاء رحب يتيح للذات الإبداعية التعبيرعن آرائها وأفكارها، وتفريغ العواطف والأحاسيس بشكل فني وجمالي، فالإبداع الروائي هو رحلة لاكتشاف الذات إذ يضع ويسكب ما يختلج في روحه وتجربته في النص، وهذا ما يمنح الرواية الصدق الفني وكذلك يستطيع التأثير في المتلقي ولعلّ الكاتب نجم الدين سيدي عثمان في روايته رحلات جزائري في ربوع إفريقيا خير مثال على ذلك، إذ يعكس في كتاباته تجربته الشخصية وانفعالاته النفسية، وهذا ما أضفى جمالا وفنا وإبداعا لروايته، فقد حرص على توثيق كل ما رآه آنذاك مع تنظيم للمعلومات التي جمعها من مصادر عديدة: "لاحظت وجود ملوّنين هنا سألت فعرفت أنّ آبائهم اسبانيّون واسبانيا بالمناسبة طلّقت غينيا الاستوائيّة ومنحتها الاستقلال"[2]، كما ابتكر مواقف كانت بمثابة همزة وصل لرحلاته فهو يجسد الأنا، من خلال بث تجاربه الشخصية وانكساراته، فتحقق روايته المتعة والدفء وخاصة في دول إفريقيا، هذه القارة المترامية الأطراف التي يتوق إليها دائما، فقد وجد من خلال الكتابة الروائية وسيلة علاجية

---

[1] فاطمة موسى، بين أدبين دراسات في الأدبين العربي والإنجليزي، الأنجلو المصرية 1965، ص12.

[2] نجم الدين سيدي عثمان، رحلات في ربوع افريقيا، ص40.

للابتعاد عن التوتر والمخاوف إضافة إلى مصالحة الذات، فيصوّر الوقائع والأحداث من منظوره الخاص وهذا يعكس قناعته ورؤيته للأشياء، فقد اعتمد على تقنيات سردية للتعبير والتنفيس عن رغباته، ويظهر ذلك عندما تحدث عن البساطة لدى أهل السودان موضحا ذلك من طريقة عيشهم وعاداتهم وتقاليدهم التي تميزهم عن غيرهم: "السودان بلد أحبّه جدّا كرم أهله غمرني لقد حملني هذا البلد بين كفّيه إلى السّماء وسرق قلبي خاصة بتلك البساطة وهي بساطة ي كلّ شيء"[1]، قد ترك بصمته اللغوية والفلسفية والنفسية في الرواية وهذا إن دل على شيء فإنّه يدل على وعيه العميق ورؤيته الشخصية الواعية للعالم،ببث أفكاره المتنوعة التي صبغت بأسلوب سردي واضح يفهمه عامة الناس، إذ يسقط أفكاره وهواجسه على أعماله الفنيّة ورحلاته وكأنّه يرى نفسه من خلال تلك الشخصيات التي صادفها: "عندما كنت في واقادوقو وصلت درجة الحرارة إلى 39 درجة مع الرطوبة العالية تفقد رغبتك في التحرّك، ويتعيّن عليك أيضا أن تستيقظ في الصباح الباكر وتؤجل أشغالك إلى المساء"[2]فالذات الإبداعية لا تتوقف عند باب السرد التقليدي بل تكسر تلك النمطية وتقدم جديدة ومغايرة ، فقد كان نجم الدين سيدي عثمان موهبة فطرية أثرت إيجابا على روايته ليخلق بذلك رؤية فريدة من نوعها للمجتمع وخاصة عندما يصور تلك الأحاسيس والمشاعر التي تختلج نفسه عندما يعاملونه معاملة حسنة إذ يقول في روايته رحلات جزائري في ربوع افريقيا " هكذا اتفق الناس الذين لا تسمع منهم إلا عبارات الرضا، والحقيقة وانه لو كان للقناعة موطن لكانت سودانية بامتياز"[3]فقد كانت الصفتان تتجليان في الروائي فالقناعة كنز لا يفنى والرضا هي من الصفات التي اندثرت في وقتنا الحالي.

كما يقول: "جنوب افريقيا هي عالم بأكمله على أرض واحدة...هي اجتماع الاضداد في نفس المكان والزمان تحت سقف واحد هي الأمن والرهبة، الخوف والطمأنينة، النقاء والخبث، الشياطين والملائكة هي

---

[1] نجم الدين سيدي عثمان، رحلات في ربوع افريقيا، ص40.

[2]الرواية، ص121.

[3] الرواية، ص12.

الإخضرار والقفار هي الأطلسي والهندي اللّذان يلتحمان فيها، هي الجنّة والنّار على مرمى الحجر"[1]ويتّضح لنا من كلامه أنتلك الأحاسيس والمشاعر قد غمرته عندما حط في جنوب إفريقيا فالإنسان فيه جزء من الخير وجزء من الشر، وجزء من الشر وهذا ما يدلّ على التنوّع السكّاني والثقافي والجغرافي واجتماع الماضي المؤلم والحاضر الديمقراطي، مما يجعلها تبدو كعالم كامل مصغّر داخل دولة واحدة.

2-استعمال العناصر السردية التي تؤكد ذاتية المبدع (ضمير الأنا ونظرته للآخر الافريقي):

ترتبط الأنا بكل ما يعبر عن الذات في مستواها الشعوري والإنفعالي فقد ارتبطت: "بالنفس البشرية وما تحمله من مظاهر وخصائص ثقافية أو نفسية أو ايديولوجية وما تشتمل عليه من أفكار، وآمال وطموحات، وبالتالي فإن الذات تشكل مركزالشعور عند الإنسان".[2]

إذن فالأنا جوهر ثابت وغير متغير وتنتسب إيه جميع الأقوال الشعورية والأحاسيس والعواطف فهو متغير وتنتسب إليه جميع الأقوال الشعورية والأحاسيس والعواطف فهو حقيقة ثابتة.

وقد جعل النص الروائي رحلات في ربوع إفريقيا: "بضمير الأنا" أي الذات الساردة المركزية التي تقوم بالحركة وتتنقل ثم يأتي عنصر السرد وهذا ما نلاحظه في كثير من المقاطع منهاقوله:"زرت السودان بلدا وقد خرجت منه وقد صار بلدين اثنتين عشت حدثا تاريخيا في الخرطوم".[3]

-وقوله أيضا:"وصلت إلى القطار وكنت أتوقع كل الاحتمالات الممكنة، كأن أحد بانتظاري سيارات الشرطة"[4]والأمثلة على هذا كثيرة منها:" أحست....سألت..وصلته.....الخ.

---

(1) الرواية، ص94.

(2)سعد فهد الذويخ: صورة الآخر في الشعر العربي من العصر الأموي حتى نهاية العصر العباسي، عالم الكتب الجديدة طباعة ونشر وتوزيع الأردن، دط، 2008، ص70.

(3) الرواية، ص17.

(4)الرواية، ص42.

فضمير المتكلم هنا يعود على المؤلف في حد ذاته، وهو نجم الدين سيدي عثمان فهو من قام بهذه الرحلات بنفسه باعتباره صحفيا ومرافق المنتخب الجزائري في كرة القدم، فهو المتحدث بالأنا الجزائرية المسلمة المثقفة، يعبر بها عن أفكاره ومواقفه اتجاه الأحداث والوقائع التي يلاحظها في كل مجتمع زاره.

أمّا الآخر في هذه الرواية فهو يختلف عن الأنا في الأفكار والتوجهات، وهو بصفة خاصة الإفريقي في هذه الرواية، ونجد لنجم الدين موقفين منالإفريقي.

موقف الإعجاب:

تصور الرواية موقف الإعجاب بالسودان طبيعة وشعبا،فيقول عن الطبيعة:"وأنا أنظر من نافذة الغرفة فأربالنيل الأبيض، وهو نهر ينبع من أعماق إفريقيا مصيره بحيرة فيكتوريا بالنيل الأزرق في منطقة تسمى المقرن دون أن تختلط مياهها ويحتفظ كل نهر بلون مائه لا يشويه شائب"[1]، ليعطي للمكان محمولا تاريخيا ثقافيا واقتصاديا.

كما يدون انبهاره بجمال مدينة بورت في السودان فشبهها بعروس الشرق في الجزائر (مدينة القالة حين قال: "وقد وصلت المدينة الساحلية الجميلة في الشمال، وهي مدينة صغيرة ونظيفة تشبه بلدة القالة في الجزائر"[2]وأعجب أيضا بجزيرة "توتي" الموجودة في السودان وصفها قائلا: "وهي منطقة تتوسط النيل ويجري حولها هذا النهر من كل الاتجاهات والوصول إليها لا يتم إلا بالعبارات، وتتميز المكان بالطيعة البكر الشواطئ الرملية".[3]

كما أعجب الكاتب أيضا بمناخ مدينة "بلانتير" عاصمة مالاوي حين قال: "قبل أن تحط الطائرة التي امتطيتها من جنوب إفريقيا إلى بلانتير كنت منبهرا ومشدودا بالاخضرار عند الاقتراب من الأرض إنها تبدو من

---

[1] الرواية، ص14.

[2] الرواية، ص30.

[3] الرواية،ص34.

الأعلى لوحة فنية رائعة تسلب عقول الحالمين وتسر غاباتها ومزارعها عيون الناظرين"[1]، دون أن ننسى إعجابه بطبيعة جنوب افريقيا التي " قال عنها شواطئ ساحرة وطبيعة خلابة".[2]

أما من الناحية العمرانية فقد أعجب بفنادق مالاوي خاصة فندق رياكسبروتيا وهو أفضل فندق في بلانتير يقول عنه: "إمكانيات الفنادق لا تتعدى ثلاثة نجوم في أفضل الحالات أما المصنفة بأربع نجوم فهي محدودة للغاية ومعروفة ويبقى فضلها في بلانتير فندق رياليسبروتيا".[3]

كما نال الشعب السوداني إعجاب الكاتب نجم الدين من حيث حسن المعاملة ولطف الحديث وكرم الضيافة، كما أعجب بنظام عيشهم وعاداتهم ويقول: " كنت متأكدا أن أرواحهم جميلة وصافية مثل سماء كل ليلة هناك..." [4]، والأمرنفسه نجده عند الشعب المالي: "وفي جولاتي بباماكو كنت أحد المساعدة من الناس ، فيحدث أن تحتاج سيارة أجرة ويسألك أحدهم في الشارع عن وجهتك بكل لطف ثم يوقف السيارة....."[5].

وهذه الميزة نجدها عند معظم سكان القارة السمراء، فقد وصف وأثنى في الوصف على الشعب الليبي حين قال:"الناس في بنغاري مضيافون، وقد أكرمني أحدهم...كما أن الشباب مقبلين عكس الحياة"[6]ارتبط الاعجاب بالمكان، انطلاقا من توظيف مشاهد واقعية تحكي تاريخ وثقافة الشعب الإفريقي في مختلف الأصقاع، ليرتبط المكان بالجغرافيا المشتركةوالتاريخ المشترك، وبالهوية والثقافة التي تختلف وتتعدد من مكان إلى آخر.

-موقف التصادم:

اختلفت وتعددت مواطن ومواقف الصراع والتصادم في الرواية، حيث ارتبطت بصراع القيم ومختلف العادات التي تشكل البنية الفكرية للمجتمع الإفريقي حيث يعرض الكاتب موقفه من نساء دولة غينيا اللواتي لم

---

[1] الرواية، ص70.

[2] الرواية، ص45.

[3] الرواية، ص 82.

[4] الرواية، ص 11.

[5] الرواية، ص 174.

[6] الرواية، ص 255.

يصن أعراضهن ولم يحفظن شرفهن يقول: "لكن النساء لا تسترن إلا القليل من أجسادهن، بعضهن تحملن أبناءعلىظهورهن".[1]

وهذا مختلف عند نساء الجزائر ونساء المسلمين عموما فنساء الجزائر يرتدين لباس الحشمة والحياء، وهذا راجع إلى الوازع الديني بنص القران الكريم ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىجُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ ....﴾[سورة النور- الآية 31]

ونراه أيضا ينتقد الأطفال في مالاوي الذين بدا عليهم مظاهر الفقر والبؤس والحرمان، ويقول:"لم أرى الكثير من الأطفالإلىإن ظهرت مجموعة منهم بعضهم حفاة، ومن كانوا ينتعلون أحذية كان أفضلها من النايلون ملابسهم رثة متسخة....."[2]، ولعل هذا مرتبط بالظروف الاقتصادية المتردية والظروف الاجتماعية القاسية توضيحا لما تعانيه هذه الدول من فقر وحرمان.

وتعجّب الكاتب من وجود ديانة "الفود" والموجودة في دولة البنين،فرغم أن هذا البلد مسلم إلا أن هذه الديانة من أخبث المعتقدات يقول عنها:"وهي ديانة وثنية تعتمد على طقوس غريبة ورقصات وطلاسم وممارسات إفريقية محضة إن هذه الديانة مرتبطة جدّابالسحر الأسود وكذلك الخرافة..."[3]، وهو شبيه بالسحر عند المجتمعات العربية، وهذا ما ينم عن الجهل، والبدائية، وعدم الوعي.

-كما أظهر الكاتب استياءه من أكل الحيوانات البرية في إفريقيا، وهي مما تأباه النفس البشرية السوية على غرار الشعوب المسلمة، وخاصة الشعب الجزائري الذي لم يعرف عنه أكل مثل هذه الحيوانات، كالقردة، والتماسيح، والفئران ...الخ..

---

[1] الرواية،ص40.

[2] الرواية، ص77.

[3] الرواية، ص 230.

-كما أطلعنا نجم الدين على أن أغلب الدول الإفريقية تعيش أوضاعا متردية تطغى عليها مظاهر الفقر والجوع إذ يقول عن مالابو عاصمة غينيا" في هذه الزيارة لمست الفقر ورأيت بعيني، شاهدت أحوال الناس وضنك العيش والحياة البدائية".[1]

وهذا الفقر قد يكون سببه الأول كسل الشعب واعتماده على الجاهز، مثل شعبمالاوي "الأسعار مرتفعة جدا لكن ذلك لم يكن إلا نتيجة عادية لبلد ينتظر البواخر القادمة من الكاميرون للأكل والشرب...". [2]

ونتيجة الشعب الغارق في الكسل والنوم وشرب الخمر كما في مالابو" وها هم يقضون صباحهم نائمين ومساءهم وليلهم في احتساء الخمرة...".[3]

وهذا ما يدل على أن شعب ملابو شعب خامل وكسول يعيش على الإتكالية فيأغلب وقته يكون فاقدا للوعي، فلا يهتم سوى بالمرح والرقص والسكر في حين أنّ عجلة الانتاج العالمي تدور، وهذا نتيجة فساد النظام الحاكم: " لكن ما شاهدته جملتي أتيقن أن النظام هنا يتحكم في كل شيء، وقد نجح في إثارة الرعب في نفس المجتمع...." [4]

وهذا كنوع آخر من أنواع التخذير يسلكه الحكام للسيطرة على الشعوب وإبقائها تحت سيطرتهم.

3-أبعاد الخطاب الرحلي في الرواية:

1.3-البعد الإيديولوجي والسياسي:

ارتبطت الرواية المعاصرة في بنيتها السردية بوصف مواقف ذات دلالات متعدّدة ويعدّ البعد الأيديولوجي والسياسي أبرز هذه المواقف، حيث ارتبطت رواية "نجم الدين سيدي عثمان" بأبعاد أيدولوجية وسياسية شديدة الصلة بمضمون الرواية. حيث يحتكّ الرحالة بأنماط اجتماعية وسياسية نلمسها من خلال تحليليهللجو العام في

---

[1] الرواية، ص115.

[2] الرواية، ص66.

[3] الرواية، ص 54.

[4] الرواية، ص 41.

تلك البلدان، حيث يطلعنا نجم الدين سدي عثمان على أنّ أغلب الدول الأفريقية تعيش أوضاع مزرية تطغى عليها مظاهر الفقر والبؤس ولعل ما يجسّدهذا الواقع المر الصورة النمطية التي رسمها عن "بلانتير عاصمة مالاوي" فهذا البلد الفقير الذي يسمى مجازا "قلب إفريقيا الدافئ" بينما نجم الدين سيدي عثمان كان معترضا على هذه التّسمية، فوصف مالاوي بقلب إفريقيا الحزين جدا والمتألم من خلال قوله: "بعد هبوطي والتقائي بالناس سوى عوز شديد مفزع وفقر مهلك مدقع ...لا كهرباء ولا ماء ولا غاز"[1] ويقولكذلك: "مظاهر التخلف في الاستقبال بمجرد السير لثواني، وكأننا عدنا إلى قرون خلت إلى القرن السابع عشر مثلا".[2]

وتظهر أيضا مظاهر الفقر والتخلّف في قوله: "سكان دولة مالاوي يعيشون في الأرياف والقرى التي تفتقر إلى أبسط شروط الحياة الكريمة"[3]، ومن خلال هدا الواقع المرير يلجأ الناس إلى احتساء الكحول...ويكسب الناس عيشهم من الزراعة أو ما يسمونه "زراعة الكفاف"، وتعني زراعة ما يحتاجونه ويعيشون عليه دون بيع المحاصيل التي بالكاد تفي بالغرض الذاتي، حيث ترتبط حياة الناس بالمطر إذا لمينزل في وقته فيمكن أن تحصل مجاعة وإذا تهاطل بكمياتكبيرة فقد يؤدي إلى فيضانات عارمة ونفس الشيء نجده في دولة "مالابو" إذ يقول: "في هذه الزيارة الثانية لامست الفقر ورأيت بعيني، شاهدت أعمال الناس وضنك العيش والحياة البدائية، من السكان الذين يعيشون بأقل من دولار، في بلد ناتجه القومي يفترض أن يجعل من مواطنيه أغنياء مثل سكان دولة جنوب أفريقيا".[4]

---

[1] الرواية، ص70.

[2] الرواية، ص72.

[3] الرواية، ص73.

[4] الرواية ، ص 115.

بعد حديثنا عن مدينة مالاوي نأتي بالحديث عن دولة السودان والدليل على مظاهر الفقر والتخلف هو قول سيدي عثمان: "فحدثوني عن مظاهر الريف والبدائية والجهل المستشري،وانتشار الأوبئة والأمراض في هذا الإقليم"[1]، وهنا تعرض الرواية أهم الخصائص التي تميز هذه الدول وطريقة عيشها، وطبيعة سكانها.

كما تحدّث سيدي عثمان عن أسعار هذا البلد وقدراته الشرائية حيث أن عمله السودان "الجنيه" فقد قيمته ومن ثم ارتفاع أسعار السلع حيث قال: "السودانيون لم يتحركوا يوما وقدرتهم الشرائية تنزل إلى الأرض والجنيه يفقد قيمته وأسعار السلع ترتفع كل يوم...وأن الدولار أصبح يقابله 10جنيهات لا بد أن السلع التي كنت أرى أثمانها قد تضاعفت".[2]

كما تحدث عن الوضع الاقتصادي في السودان وعن تراجع الإنتاج وعن ثوراته التي يزخر بها من بترول، غاز، نفط حيث كانت تصدرها إلى العديد من الدول"فآبار النفط أغلبها في الجنوب وبالفعل بمجرد إعلان جنوب السودان دولة مستقلة تراجع الإنتاج السوداني للبترول وفق أرقام رسمية من 439ألف برميل يوميا إلى 18 ألف برميل"[3]، ونجد الأفارقة يقبلون على أكل لحم القردة فكل يوم أطباق من مشويات الحيوانات المختلفة والدليل على ذلك قول سيدي عثمان "أن لحم القردة مطلوب جدا....ولحوم القردة مطلوبة جدا وهي لذيذة...وأن الأفارقة يقبلون على هذه اللحوم لاستهلاكها في بيوتهم".[4]

كما أن المجتمع المالاوي يتميز بالكسل والخمول ينتظر البواخر ليأكل، فهو مجتمع اتكالي كما وصفه سيدي عثمان بأنه ينتظر البواخر القادمة من الكاميرون حتى يتحصل على الأكل والشراب، وهذا ما أدى إلىارتفاع الأسعار ويتضح ذلك في:" الأسعار مرتفعة جدا لكن ذلك لم يكن إلا نتيجة عادية لبلد ينتظر الباخرات القادمة من الكاميرون للأكل والشرب، حملت قنينة "كوكاكولا" فإذا عي قادمة من الروبية بالجزائر حتى الخبز ينتظرون

---

(1) الرواية، ص18.

(2) الرواية، ص16.

(3) الرواية، ص20.

(4) الرواية، ص62.

وصوله من هناك فكل وقتهم للشرب وليس لهم وقت آخر يعملون فيه"[1]، وهنا تتركز النظرة الدونية المحتقرة لهذا الإفريقي بما يمتلكه من صفات ، كما تبرز روح الافتخار بالدولة الجزائرية التي كان لها الفضل في تزويد هؤلاء الأفارقة باحتياجاتهم اليومية.

ومن ضمن عادات الشعب السوداني أيضا أن "لهم طريقتهم الخاصة في تحيتك، ففضلا عن ابتسامة عريضة بحجم النيل يربت الواحد على كتفك الأيسر بيده اليمنى الإسلامية،وتفعل أنت الشيء نفسه كما يحرصون على ارتداء القمصان الإسلامية التي تشبه رداء الإحرام حتى يكون أكثر قربا من الله فيكفي أن يرفع الآذان ليصلي الناس في الشارع والسودانيون بإقدامهم على الصلاة جماعة في كل مكان حتى في الطرقات والسيارات تمر من قرب رؤوسهم...المحلات مغلقة والناس تكبر إلى الصلاة ساعات قبل وقتها".[2]

وهنا يركز على الجانب الأخلاقي الذي يطغى على معاملة الآخر بروح سلمية متسامحة، تحمل من القيم الدينية والأخلاقية، وبروز العقيدة الإسلامية قولا وعملا.

ووصف نجم الدين سيدي عثمان عادات دولة "مالايو" حيث أن محلاتهم تفتح في وقت متأخر من الصباح ومن يريد شراء أي شيء فمن العجب أن ينظر التاسعة صباحا حيث قال " في مالايو رأيت أنهم لا يفتحون محلاتهم إلا بعد التاسعة صباحا، وكأنهم اتفقوا على هذا الوقت، ومرة خرجت في السابعة صباحا، فكنت مجنون أهيم على وجهي، بعض محلات بيع المشروبات الكحولية كانت تغلق أبوابها،لتفتحفي التاسعة هذه المحلات في كل مكان"[3]، وهذا دلالة على تضارب القيم والعادات والعقائد التي تنم عن مجتمع متناقض.

وقد أثارت بعض التصرفات الواقعة في دولة "مالايو" العجب والدهشة من حدوثها والتعامل بها وقد حرص سيدي عثمان على نقلها في قوله: "بعد كل ما كتبته في صحيفتي علمت أن هذا البلد فقط يمكن لشرطي

---

[1] الرواية، ص66.

[2] الرواية، ص14.

[3] الرواية، ص14.

أن يوقف سيارته ليبحث عن أي ذريعة يوقعك بها، مثل أن يطلب سبب إخراج ساعدك من نافذة السيارة، ويتركك تغادر عليك أن تدفع له ولمسئوله وإلاّفستسجن بلا محاكمة".[1]

كما تحدث عن أوضاع مختلف للمجتمع فمعظم الناس يقضون أوقاتهم في الكسل والشرب والنوم وهذا دليل على وجود الفقر في هذه البلد، وتفشي الآفات الاجتماعية حيث سيطر الأجانب على ثروات ومؤسسات البلاد ووالدليل قوله:" وفي مالايو الأجانب هم يديرون شؤون البترول، وهو عصب الحياة الذي قلب أمور البلد الصغير رأسا على عقب منذ اكتشافه فزاد من كسل الناس الذين كانوا لا ينتجون إلا الكاكاو خلال الاحتلال، وهاهم اليوم يقضون صباحهم نائمين، ومساءهم وليلهم في احتساء الخمرة، إن الأغلبية من فئات السكان فقيرة في البلاد فثلاث أرباع الشعب يعيشون بأقل من دولار في اليوم، بينما الفئات المنتفعة يمكن مشاهدتها وهي تركب السيارات الفاخرة رباعية الدفع وتقيم في بعض المباني الباهرة".[2]

كما تحدث عن المدينة ليلا ووصف أجواءها الليلية أنها تتحول إلى مرقص حيث تخرج النساء عاريات تقريبا، متبرجات يرقصن مختلطات بالرجال: "وفي الليل تتحول المدينة إلى مرقص كبير أصوات الموسيقى في كل مكان، والغانيات في ذهاب وإياب، يدخلن سرا ليعرضن خدماتهن علنا كما يعرضن في التعري ويختلط البيض بالسود في هذهالحانات الصغيرة فلا خيار لهم إلا هذه المراقص البائسة".[3]

ونجد أيضا من عادات غينيا الاستوائية أن: "ينسب الابن لأمه والرجل يمكنه أن يتزوج أكثر من امرأة ويجمعهما في وقت واحد"[4]، وهذا يدل على ما تتمتع به المرأة من سلطة على الرجل، وتحملها لمختلف المسؤوليات التي من المفروض أن توكل للرجل.صور أيضا سيدي عثمان كل ما وقع عليه نظره في هذه المدينة سواء أكانت صغيرة أو كبيرة،ومما سجله في رحلته طريقة جلب الماءفشاهد أن: "الفتيات والفتيان يذهبون إلى منابع المياه على

---

[1] الرواية، ص84.

[2] الرواية، ص54.

[3] الرواية، ص58.

[4] الرواية، ص66.

رؤوسهم آليات الماء، يفترض أنهم في المدرسة الآن لكن قليلون من يحصلون على التعليم،وفي الغالب يرسلون الذكور وتبقى الإناث مشروع تاجرات متجولات وسيدات بيت فيما بعد".[1]

كما تحدث أيضا على أنواع الألبسة التي يرتدونها النساء والرجالفيقول: "الناس هنا ترتدي ملابس نظيفة وأنيقة، بدلات كلاسيكية وأحذية لماعة، حقائب جلدية باهظة الثمن وسيارات فارهة".[2]

ومن غرائب الأشياء عندهم أن مدينة بلاتبير (العاصمة الاقتصادية) لا يسكنها الناس فلا يوجد أي بيت هناك، لأن المدينة مملوءة بالبنوك فيكل مكان، أي أن المكان مهم للمدينة بنكية ولا شيء غير ذلك وهذا ما يمكن قراءته في قوله: "المنطقة الاقتصادية لا يسكنها الناس لا مكان لبيوتهم البائسة هنا، ولكنهم في الصباح كل يوم يتسكعون في شوارعها الفسيحة، ويتكون على أسوار البنوك التي في خزائنها آلاف الدولارات البطالة متفشية جدا....."[3].

كما يقول "لم أر ملابس تقليدية فالرجال يلبسون الأزياء التي نرتديها في حياتنا اليومية، فقط بعض النسوة يلبسن الملابس الأفريقية الملونة، وهناك من الناس من يحرص على ارتداء الأثواب العربية الإسلامية سواء الزنوج أو الهنود، وبصرف النظر عن المناطق القريبة من البنوك فملابس الناس في للشوارع ليست على للموضة الجميع محترق في هدا الجو الساخن ومع هذا يغلب اللون الأسود على ملابسهم، لهم رائحة عرق قوية وغير أنه لا تشتم إلا روائح العطور العالمية"[4]، فالرحالة لم يلاحظ انتشارا واسعا للزيّ المحلي بين الرّجال، إذ يلبسون الملابس الحديثة المعتادة، أمّا المظاهر التّقليدية فتبدو أكثر عند النّساء وهناك فئة معينة تتبنّى اللباس المرتبط بالثقاة العربية الإسلامية مثل الأقمصة والحجاب...إلخ.

---

[1] الرواية، ص74.

[2] الرواية، ص74.

[3] الرواية، ص76.

[4] الرواية ، ص79.

وتحدث أيضا عن أجواء جنوب أفريقيا ليلا حيث قال: "أما الليل فهو أمريكي مليء بالمجون والغواية وحتى الجريمة"[1]، إذن الكاتب يرسم صورة نقديّة لليل في هذا المكان تتّسم بالتحرّر المفرط وكثرة المغريات وما قد يصاحبه من مخالفات وجرائم.

ومن ضمن عاداتهم أنه عندما يحدث حادث وتكون الإصابة بسيطة لا تتطلب تعويض مالي، فإن المذنب مقابل ذلك يـدفع ثمن ما فعله من خلال تعرضه للضرب على مستوى الوجه ويوضح ذلك سيدي عثمان في قوله: "وفي جنوب إفريقيا إذا كان الحادث بسيطا ولا يستدعي تعويضا ماليا أو مبلغا زهيدا فقد يدفع المذنب ثمن ذلك في الوجه وهذا ما حصل مرة أمامي في جو هانسبورغ"[2]، فردود فعل النّاس عند وقوع مشكلات أو حوادث بسيطة لا تستحق اللجوء إلى إجراءات قانونية أو مطالبة بتعويض مالي كبير، فقد يلجأ الطر المتضرّر إلى معاقبة المخطئ مباشرة بالضرب على الوجه، أي الاقتصاص المباشر.

وأيضا في قوله: "ولكن النظام السوداني أبطل كل المحاولات، مستفيدا من سنواتها الطويلة في الحكم والتي نجح خلالها في إنشاء أحد أقوى الأنظمة الأمنية في المنطقة"[3]، حيث حدثنا نجم الدين سيدي عثمان عن ما رآه سائدا في المجتمع السياسي لبعض الدول الأفريقية فما لاحظه في السودان أن النظام القائم هناك ركض فترة طويلة من الزمن وبسبب نجاح نظام الحكم تم إنشاء أنظمة جديدة تسعى على أمن البلاد.

كما تكلم أيضا على إقامة مظاهرات في قوله: "وصلني خبر اندلاع احتجاجات متفرقة تناهض سياسة الرئيس عمر البشير، لكنها لم تكن بالحجم الجماهيري الموقع، علمت من خلال قنوات التلفزيون أن أبر مسيرة جمعت 1000طالب خرجوا من جامعة " أم درمان" الإسلامية، ساروا وهم يهتفون منددين بجرائم ضد الإنسانية

---

[1] الرواية،ص94.

[2] الرواية،ص100.

[3] الرواية،ص16.

في "دارفور" يتهمون الرئيس بتنفيذها عام 1989"[1]"، والهدف منها طرد رئيس الدولة عمر البشير الذي تم اتهامه بارتكاب جرائم تمس بالبشرية وبالنظام العام للدولة واستقرارها.

كما تحدث عن إحصائيات عدد القتلى نتيجة الصراعات الثقافية والإنسانية القائمة بين جنوب البلاد وشمالها وذلك من أجل المطالبة باستقلال البلاد والحصول على الهوية الوطنية وهذا ما أدّى إلى عقد اتفاقيات واستفتاء من أجل تحرير البلاد وتقرير المصير وهذا ما تجسّد في قول سيدي عثمان "لقد وصلت الفاتورة إلى 2,5مليون قتيل في فترة 27 سنة من الاقتتال المتواصل بين الشمال والجنوب وهي واحدة من أعنف الصراعات الإنساني في العالم وفي الفاتورة أيضا 4ملايين نازح في صراع ثقافي عرفي بدأ سنة 1965 عندما كان السودان ينشد استقلالا وينادي بهوية وطنية تقوم على العروبة والإسلام ..... وظهر "جون فرنق" متأثرا بفكرة التيزاني "ييزيري" إذ تمر على الحكومة وأسس الحركة الشعبية لتحرير السودان، في2005 اتفاقية "نيفاشا التي تنص على بنودها استفتاء تقرير المصير لسكان الجنوب...."[2]، فالحرب كانت طويلة أدّت إلى دع اتوة باهضة الثّمن تقدر بـ 2.5مليون قتيل، ثمّ تم التوقيع على اتفاقية سلام عام 2005 في مدينا "نيفاشا" السودانية لتخرج في الأخير باستفتاء لتقرير مصير الجنوب.

وفي مالايو عاصمة غينيا الاستوائية صور لنا سيدي عثمان الواقع الأسود من خلال تجبر وتسلط رئيس البلد، إذا أنه سيطر على كل شيء وتحكم في كل شيء حيث جعل العالم ينظر إليه على أنه رب العبودية لهذه البلاد ويقول في هذا الصدد: "كتبت على رئيس البلاد الذي سطا على أموال البترول واستأثر بملايين الدولارات لنفسه وعائلته، كما أنه بقوته وجبروته جعل ذكر اسمه بين العامة من الناس محرما وكيف أصبح ربا معبودا للبلاد فقد أعلنت الإذاعة الرسمية أنه إله يحق له أن يقتل أي كان بلا حساب، كتبت على انقلابه على عمه الذي أعدمه بالرصاص ونصب نفسه بدلا عنه، كتبت على ابنه الطائش الذي لم يخلق مبذر في العالم مثله، كتبت عن

---

[1] الرواية،ص14.

[2] الرواية،ص18.

قصور روجاه وثروات العائلة المالكة..."[1]، الرئيس قد استولى على ثروات البلاد وأموال النط واستغل السلطة لمصلحة نفسه ومارس القمع والعنف على شعبه لضمان الحكم والبقاء فيه وقد انتشرت أخبار فساده وبذخه بين النّاس.

كما وصف سكان البلد يخافون كثيرا من النظام السائد ومن حكم الرئيس ويقول في ذلك:"ولكن ما شهدته جعلني أتيقن أن النظام هناك يتحكم في كل شيء وقد نجح إثارة الذعر في نفس الجميع...إنهم يخافون الانقلاب والطريقة التي جاء بها الرئيس نفسه إلى الحكم...وأنه لا يمكن لأي شخص أن يحصل على رخصة امتهان سيارة الأجرة إلا لمن كان عسكريا"[2]، فالسلطة والحكام يمارسون أفعال أو سياسات تجعل الناس يشعرون بالخوف والرعب ولا يستطيعون إبداء رأيهم والمطالبة بحقوقهم.

غير أن ما نجده في مجتمع "المالاوي" مغاير تماما لما رأيناه فمالايو إذ أن مالاوي كان يحكمها رئيس مسلم وكان الشعب يحبه ويعتز به وهذا ما نجده في قول سيدي عثمان وحكم مالاوي رئيس مسلم للمرة الأولى في التاريخ هو "باكيليمولوزي" سنة1994 وغادر الحكم سنة 2004، وقد اتهم باختلاس ملايين الدولارات من مساعدات قدمت للبلاد لكنه يملك سمعة طيبة وشعبية كبيرة، كما أن هناك شارعا في البلاد يحمل اسمه".[3]

كما أن لمدينة مالاوي أفضل رؤساء العالم من بينهم الرئيسة "جويس باندا" التي تخدم البلاد بشكل لائق وإخراج سكانه من سكانه من حالة الفقر والعوز الشديد حيث أقامت ثورات من أجل على السلطة والسيطرة على من يريدون الاستيلاء عليها، كما ضحت بنفسها من أجل زرع السكينة والطمأنينة في نفوس سكون هذا البلد وجاء في هذا الصدد " هذه السيدة اختارتها مجلة "فون بوليسي" الأمريكية في المرتبة الثانية لأفضل الرؤساء في العالم ولم يكن ذلك صدقة بل نتيجة تفانيها في خدمة فقراء بلدها، وقد خاضت باندا حربها الأولى ضد عائلة

---

(1) الرواية،ص41.

(2) الرواية،ص49.

(3) الرواية،ص87.

الرئيس، فقد كان شقيقه يريد الاستيلاء على السلطة وكانت بكل شجاعة في مقدمة الصفوف للسيطرة على القصر الرئاسي كما باعت طائرة رئاسية قررت استخدام 15مليون دولار لإطعام أكثر من مليون شخص يعانون من نقص مزمن في الغذاء....."[1]، يعكس لنا هذا القول التنمية والعدالة لخدمة الشعب وتحقيق المساواة والعدالة بين المواطنين، بينما يؤدّي الظلم والتّمييز إلى استمرار المشاكل الاجتماعيّة والاقتصاديّة.

بينما في مدينة "روستنبورغ" في جنوب افريقيا نظام الفصل العنصري لا يزال قائما فيها والدليل على ذلك:"بدا امتلاك البيض 90 من الأراضي في البلاد محصورة في يد 4000عائلة عاد ليصنع الجدال في البلاد لأن السود يعتبرون ذلك تكريسا لنظام "لإبردهايد" العنصري الذي سقط عام 1994 وهذا مشكل طبق في البرلمان الجنوب الإفريقي ويطالب بعض السياسيين استعادة هذه الأراضي التي حازها البيض بقوة وأيضا بحكم قانون عنصري طبق سنة1913"[2]، وهذا يتّضح لنا سياسة التفريق والتمييز العنصري القائم بين البيض والسود واضطهاد حقوق أصحاب البشرة السمراء المنبوذين من طرف البيض الذين يعتبرون أنفسهم أسيادا عليهم.

وفي جنوب إفريقيا القانون هو الغائب الوحيد حيث أن القانون لا يطبق على الجميع وإنما من يملك السلطة والبال ينجو منه ويتجلى ذلك في قول نجم للدين سيدي عثمان "الواقع أن سمعة الشرطة هنا سيئة جدا لا أحد يحبهم بل ينظر إليهم كمرتزقة والأثرياء في العادة لا يمتثلون للأوامر ويعتبرون أنهم فوق القانون أقصد قانون هؤلاء الشرطة الذي لا يطبق إلا على الضعيف".[3]

2.3-البعـــد الديني:

يروي لنا "نجم الدين سيدي عثمان في روايته رحلات جزائري في ربوع أفريقيا" عمّا شاهده والتمسه من خلال معايشته لسكان جنوب إفريقيا، فهو يرى أنّ أغلب بلدان جنوب افريقيا تعتنق الدين الإسلامي مثل: السودان ومالاوي وليزود ومالي وتنزانيا...، فيقول:"السودانيون يحرصون على ارتداء القمصان الإسلامية التي تشبه لباس

---

[1] الرواية،ص89.

[2] الرواية،ص100.

[3] الرواية،ص106.

الإحرام حتى يكونوا أكثر قربا من الله فيكفي أن يُرفع الآذان ليصلي الناس في الشوارع وفي الطرقات والسيّارات تمر قرب رؤوسهم يذكّرونك في كل وقت بواجبك الديني وصادف أولى يوم لي في البلد جمعة وهو يوم مقدس إلى درجة أن الخرطوم تجولت إلى مدينة أشباح"[1]، فهذا يدلّ على قوّة التمسّك بالدين الإسلامي وعمقه في الوسط السوداني وحرص أفراده على الالتزام بتعاليمه وشعائره.

لقد صوّر لنا "نجم الدين" صورة واضحة ودقيقة عن أديان الأقوام التي زارها وعايشها أو مرّ بها ووصف طريقة عبادتهم وطريقة الصلاة وخشوع السودانيين في أداء الصلاة في وقتها، فالصلاة مقدّسة بمجرد أن يرفع الآذان تُصلّى حتى في الشوارع وهذا دليل على التزام السودانيون بصلاتهم وتقديسهم لها والتمسك بها وهو ما نصّ عليه الشارع في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلاَةَ كَانَتْ عَلَى المُؤْمِنِين كِتَابًا مُوْقُوتًا﴾ -الآية 103 من سورة النساء.

كما وصف لنا المساجد والمدارس التي يدرّس فيها القرآن للكريم ويطبّق فيها المذاهب الشائعة حيث يقول: "ها نحن هنا في المدينة التي فيها جامعة القرآن"[2]، وهذا ما يدلّ على حرص السودانيون على حفظ كتاب الله وتعلّمه وتعليمه وهو ما أمرنا به ديننا الحنيف على لسان رسوله في قوله صلى الله عليه وسلّم: "خيركم من تعلم القرآن وعلّمه".

تحدّث لنا الرحالة سيدي عثمان عن انتشار الإسلام في مدينة "مالاوي" إذ يقول: "يقولون أنّ الإسلام دخل مالاوي من موزنبيق من خلال قبيلة الياو، وكان ذلك بين عامي1850و1870حيث اعتنقت هذه القبيلة الإسلام حوالي القرن الخامس عشر... وبالمقابل تعتبر قبيلة منعوش من المدن الإسلامية الموجودة في مالاوي...."[3]، فبيّن الكاب الدور المهم الذي قامت به القبائل والتجّار المسلمون في نشر الإسلام في افريقيا.

فمدينة مالاوي مدينة مسلمة ينتشر فيها الدين الإسلامي و الدليل على ذلك انتشار المساجد والمدارس القرآنية، مما يجعل على ذلك ليس غريبا في هذا البلد كما نجد أيضا تصوير سيدي عثمان لسكان مالاوي أين

---

[1] الرواية،ص13.

[2] الرواية،ص22.

[3] الرواية،ص86.

وجد الهنود المسلمون الذين يدينون بالإسلام وانتقل معه معهم الدين إلى السكان الأصليين لملاوي عن طريق التجارة في قوله: "واليوم ثلث السكان يدينون بالإسلام وانتشار الدّين الحنيف واضح والآذان مسموع"[1] ويصف لنا الراوي مدينة "ليزونو" بقوله: "الأحد هو يوم صلاة بالنسبة للنصارى والسكان يتمتعون بقدر من التدين فتكتظ الكنائس كل نهاية أسبوع، ويوم الأحد أيضا تكاد تنعدم فيه حركة المرور وبالمناسبة لا يوجد ازدحام كبير"[2]، فنلاحظ أن ليزوتو كغيرها من البلدان الأفريقية بها يوم للصلاة وهو يوم الأحد الذي يعتبر نهاية الأسبوع عندهم وهو يوم الصلاة عند النصارى إذن فالدين الرسمي ليزوتو هو النصرانية، على عكس الجزائر فيوم الأحد يعتبر بداية الأسبوع، ويوم الجمعة يوم عطلة وعبادة وعيد عند المسلمين الجزائريين، وهو ما نجده واضحا في الدين الإسلامي إذ يوم الجمعة يوم عبادة وصلاة لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَاالَّذِينَءَآمَنُواْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِن يَومِالْجُمُعَةِفَاسعَوْاْ إِلَىٰ ذِكرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلبَيعَذَٰلِكُمخَير لَّكُم إِن كُنتُمتَعلَمُونَ﴾[سورة الجمعة-الآية09]،في حين أن سكان مالي مسلمون ينتشر الدين الإسلامي بنسبة كبيرة غير أنهم بعد الانتهاء من الصلاة والعبادة يذهبون إلى ارتكاب المحرمات من خمر وفاحشة وقمار لقوله: "وحتى إن كانوا مسلمين مثلنا إلاّ أنّي لاحظت بمرور الأيام أنه يحصل أن يصلّي أحدهم صلاة العشاء ثمّ يخرج للقمار في الكازينو وهذا يشرب الجعّة أو يفعل ذلك في محلاّت العاصمة كما تنتشر الدعارة في كلّ أنواعها"[3]، فسكان مدينة مالي رغم صلاتهم واعتناقهم للإسلام إلاّ أنهم منحرفون عن طريق الإسلام ولا يلتزمون بما جاء به الدين فالصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، فهم يهملون تعليم الدّين،وتعتبر"تانزانيا" أيضا بلدا مسلما لانتشار الدين فيها وأغلب سكانها مسلمون وصوّر الراوي وجود المساجد في كلّ مكان وهذا ما جاء في قوله: "ودار السلام مدينة إسلامية بامتياز، كما أن 90بالمائة من سكانها مسلمون المساجد في كل ركن والآذان يصيح في كل مكان"[4]، فهناك نسبة كبيرة من سكان هذه البلاد يعتنقون الإسلام بصورة واضحة.

---

(1) الرواية،ص86.

(2) الرواية،ص152.

(3) الرواية،ص174.

(4) الرواية،ص209.

ويذهب الراوي ليصوّر لنا بعض البلدان التي تختلف ديانتها ومعتقداتها من مكان لآخر ومن ين هذه البلدان "البنين" فهي تختلف في معتقداتها الدينية عن المعتقدات الدينية الأخرى فسكانها يمارسون ما يعرف "بالفودو" ويقول نجم الدين: "ويحظى الفوندو بمكانة مهمّة في المعتقدات الشعبية ويقال: "أن عمر الديانة 10آلاف سنة وهي ديانة وثنية تعتمد على طقوس غريب ورقصات وطلاسم وممارسات أفريقية مخضة، فيطلب الشخص النصح والإرشاد من الأرواح أما كاهن الفودو فهو يلعب دور الحاكم ويلجأ إليه الناس للعلاج ويعتقدون بقدرته على الشفاء، لأنه ورث ذلك وفق ما يروّجون له من الآلهة والأرواح... إن هذه الديانة مرتبطة جدا بالسحر الأسود وكذلك بالخرافة خاصة فيما يتعلق بالدمى التي تصنع من القش والقماش"[1]، فهذه الديانة "الفودو" هي ديانة ومعتقد شعبي ظلّ راسخا منذ الأزل في عقول سكان هذه المدينة ارتبط بالسحر وفي التجارة من خلال كسب قوتهم عبر ممارسات وطقوس سحر.

ولكن رغم اختلاف الديانة والمعتقدات بين الشعوب التي وصفها وعايشها لاحظ وجود نجم الدين سيدي عثمان في رحلاته إلى ربوع أفريقيا إلا أنّه لاحظ وجود التسامح والتآلف الديني بين الشعوب وذلك بشكل واضح وتقلّ المشاكل حيث يقول: "التسامح الديني واضح في البنين بين السنة والشيعة أما الخلاف الديني بين المسيحي والمسلم فلا أثر له، بل يحترم الناس الجميع حتى من يعبدون الأوثان"[2]، فرغم اختلاف الديانات والمعتقدات إلاّ أن شعب "البنين" يعيش في تسامح ووئام ويحترم الناس بعضهم بعض فسكان القارة السمراء في تفاهم.

3.3-البعد الثقافيوالأنثربولوجي:

يختلف مفهوم الثقافة من باحث إلى آخر بتباين المجال المعرفي،واختلاف التصورات الفكرية والفلسفية والقناعات الشخصية، وتشتمل الثقافة على كل ما هو معنوي وفكري وخيالي"[3]، فنجد المجتمعات تختلف عن

---

[1] الرواية،ص230.

[2] الرواية،ص239.

[3] كتب إسلامية عامة، الثقافة مفاهيم ومقاربات جامع الكتب الاسلامية، المجلد1.

بعضها وخاصة في المعرفة والأفكار والتي ينفرد بها كل مجتمع معيّن، فيتجلى هذا التباين على مستوى العادات والتقاليد واللّغة والأفكار كما أن الثقافة "مصطلح زئبقي تتعدد مصادره ومكوناته"[1]،بمعنى أنّ الثقافة لا تنحصر في مصدر واحد فقط بل هي بمثابة جمع لمكوّنات ومرجعيّات تمكن أفراد المجتمع من التواصل فيما بينهم وتنقل كل ما يتعلّق بهم لمن بعدهم وقد تجلت الثقافة في كتابات الأدباء ومؤلفاتهم فنجدها متجسدة ضمنيا، ولعلّ نجم الدين سيدي عثمان من بين الذين تطرّقوا إلى ثقافة المجتمعات من خلال روايته "رحلات جزائري في ربوع افريقيا"، فعندما زار بوركينا فاسو تحدث عن لغتهم فقال: "الكل يتقن اللغة الفرنسية التي تعب المحتل الفرنسي في ترسيخها بالأذهان وقد شرع في السنوات الأخيرة في تدريس العربية"[2]،فنظرا لاحتلالها من قبل فرنسا فقد سعت في نشر اللّغة الفرنسية لأن كل محتل يفرض وجوده ولغته على البلاد المحتلة إلاّ أنهبعد ذلك شرعوا في تدريس اللغة العربية التي هي لغة القرآن الكريم.فقد تعدّت الثقافة اللغة وتظهر جليا خلال زيارته إلى تنزانيا فقد قال: "في تنزانيا هناك ثقافة تترسخ أيضا لدى الطفل منذ ولادته وهي احترام الكبير وتوقيره، ولا تغيب كلمة"شيكامو" وهي كلمة ترحيب عن أفواه الناس"[3]، فاحترام الناس وتقديرهم يكون منذ الصغر، فتجد الناس متحابين يتبادلون التحية وهذا دليل على وعيهم وثقافتهم لان مثل هذه القيم يجب ان تترسخ في أذهانهم منذ الصغر فيفطر الإنسان على الأخلاق والمعاملة الحسنة منذ نعومة أظافره.

وعندما زار مالاوي قال: "كان الناس ينظرون التي باستغراب وكأنّني نزلت من السماء، ثم خاطبني بعضهم بلهجتهم المحلية، ولم أفهم ما الذي كانوا يقولونه لي بـ:الشيشوا من المؤكد أنهم كانوا يعرضون بعض خضرهم وفواكههم الشحيحة، وعلى فكرة فلا يتكلم الجميع اللغة الانجليزية"[4]، فسكّان مالاوي يتحدّثون بلهجة مختلفة ولا وجود للغة الانجليزية فقد ترسّخت في أذهانهم هذه اللهجة دون سواها، وهذا إن دلّ فإنّه يدلّ على تمسّكهم

---

[1]مجلة الذاكرة، تصدر عن مخبر التراث اللغوي والأدبي في الجنوب الشرقي الجزائري، العدد 9، جوان2017، ص 34.

[2]الرواية، ، ص 122.

[3]:الرواية، ص 199.

[4]الرواية، ص 75.

بثقافتهم الخاصة وفي الحديث عن اللغة في الجزائر فقد تميزت باللغة العربية ولكن يتحدّث الجزائريون بأكثر من لهجة، وكلّ منطقة تختلف عن الأخرى وهذا نتيجة التأثر بالاستعمار الفرنسي، فنجد أغانيهم يتحدثون اللغة الفرنسية في معاملاتهم اليومية، فسكان الشرق لهجتهم مختلفة عن لهجة سكان الغرب والشمال والجنوب ولكنهم يتحدثون اللغة العربية.

فاللغة هي من الثوابت وهي رمز الهوية الوطنية التي تميّزنا عن غيرنا، فمن خلال الانفتاح على ثقافة الغرب نجد بعض ملامح التأثر لدى الجزائريين إلا أنهم لم يخرجوا عن عاداتهم وتقاليدهم التي فطروا عليها.

وعندما نعرّج إلى ثقافة كرة القدم فقد تحدث نجم الدين في روايته إذ قال:"جئت لأقف في المكان الذي قذف منه عنتر يحي كرة قوية في مباراة الجزائر ومصر الفاصلة المؤهلة إلى مونديال 2010 فدخلت الشباك وكانت الفيصل بين فرحة جنونية وتعاسة بطعم المرارة، في مباراة شغلت العالم بعد أن وصل التراشق الإعلامي قبلها إلى حدّ اعتبارها مواجهة حربيةوليس لقاء في كرة القدم"[1]، ففي ذلك الوقت كان الاحتدام قائما بين الفريقين وانتهت بتحطيم العارضة التي شهدت هدف عنتر يحي وقاموا بتخريبها الجمهور الجزائري، وفي اللحظة ذاتها حصلت مشاجرات عنيفة بين المشجعين وتخطت أبعد من ذلك، فصاروا يتقاذفون إعلاميا بالرغم من أننا عرب ومسلمين إلا أن مباراة كرة القدم غيرت مسار بعض الرؤى، فقد أصبحت كلّها ذكريات ماضية.

من خلال هذه المباراة تتضح شخصية الجزائري الذي يتعصب بسرعة لأننا بكل صراحة نميل للاندفاع والغضب لأتفه الأسباب، وقد كانت كرة القدم سببا في نشر العدوانية بين اهل مصر والجزائر ولكن مع مرور الوقت تحسنت العلاقات ،فالجزائري لا يحمل الضغينة طول حياته إنما تتلاشى تلك الأحاسيس مع مرور الوقت، لهذا وجب أن تتمتع بالثقافة الرياضية لأنه حتى وإن هزمنا فهي تبقى مجرد لعبة ويجب أن يكون هناك خاسر.

أ-العادات والتقاليد:

[1] الرواية، ص 23

هي مجموعة المعتقدات والسلوكيّات والقيم التي تتناقلها الأجيال، إذ تشكّل هويّة وثقافة مجتمع معين لأنها تنتقل من السلف إلى الخلف ويتمسك بها آباؤنا ونولد نحن فنجدهم متمسكين بها وحريصين على القيام بها"لذلك كان أصعب دور كلف به الأنبياء والرسل تغيير عادات القوم المتوارثة أي تقاليدهم".[1]

لذلك أهم خاصية تمتاز بها التقاليد أنها متوارثة، إذ يتقبّل الخلف هذه العادات والتقاليد، ويشعرون بأهميتها دون الإعتراض عليها، فهي كما ذكرنا بمثابة قواعد سلوكية تنظم الجماعة لذلك تشكل دستورا يقوم عليها النظام الاجتماعي.

***اللّباس:**

وقد تطرّق العديد من الأدباء والعلماء إلى العادات والتقاليد ونجدها بارزة في كتاباتهم وروايتهم، فمن خلال رواية رحلات جزائري في ربوع افريقيا لنجم الدين سيدي عثمان نجد تلك العادات والتقاليد واضحة ولكنها مختلفة فكلّ بلد زاره أثناء رحلته تختلف عاداته وتقاليده وذلك راجع إلى طبيعة المجتمع آنذاك، وسنسعى لإيضاح تلك العادات والتقاليد المتجلية في روايته ونستهلّها بطريقة اللباسمن خلال البلدان التي زارها فعندما حط الرحال في مدينة مالاوي يتحدث عن اللّباس قائلا:"أنا في قلب المدينة، المكان جميل،النّاس هنا ترتدي ملابس نظيفة وأنيقة بدلات كلاسيكيّة وأحذية لمّاعة"[2]، فقد لقت انتباهه طريقة لبسهم الأنيقة والنظيفة وهذا يدلّ على اهتمامهم بأنفسهم فهم يحرصون بأن يظهروا بأبهى حلّة، وفي المقابل تحدّث عن الإسكافي الذي استغرب منه قائلا: "لقد كان يعمل ببذلة رسمية كلاسيكية بربطة عنق، في آخر أناقته، وكأنه عريس السهرة، لم أر ملابس تقليدي فالرّجال يلبسون الأزياء التي نرتديها في حياتنا العاديّة فقط بعض النّسوة يلبسن الملابس الإفريقية الملونة، لكنني التفتُّ إلى أن هناكمن الناس من يحرص على ارتداء الأثواب العربية الإسلامية"[3]فاللّباس يعكس شخصيّة وثقافة الأشخاص فمثلا الإسكافي الذي يعتني بمظهره لم يكن اعتباطا بل فيه بعدٌ آخر وهو شد انتباه المارة لكي يساعدهم في تصليح أحذيتهم رغم أن عمله شاق ومتعب ويتطلب سعة البال، إلاّأنه حافظ على مظهره الخارجي، أمّا النسوة فهن يرتدين الملابس الملونة التي تجذب الأعين لهم لتزيدهم بذلك جمالا.

---

[1] حسن الساعاتي،علم الاجتماع القانوني، مكتبة الأنجلو المصرية- القاهرة،ط3، 1968، ص 51.

[2] الرواية، ص 74.

[3] الرواية، ص79.

وعندما زار "نجم الدين سيدي عثمان"الليزوتو فقد أعجب بلباسهم وقال: "أعجب ما رأيت أن سكان ليزوتويلتحفون الأغطية والبطّانيات في الخارج وقد علمت أنّه اللباس التقليدي الأصيل هنا الذي يسمّى محليا سيانا مارينا والسبب أنّهم لا يقوون على تحمل البرد"[1]، فقد اتخذ أهل ليزوتو من البطانيات والأغطية لباسا تقليديا وذلك من شدّة وقساوة المناخ فالحاجة أم الاختراع فالمجتمع يسعى إلى ضمان سيرورة حياته ولا يبالي بآراء الآخرين فالأهمّ عندهم أنّهم يشعرون بالدفء.

واصل "نجم الدين سيدي عثمان" رحلته متّجها إلى البنين فقد لفت انتباهه هناك كثرة الدراجات النارية التي فرضت نفسها لتصبح وسيلة نقل الأشخاص الأولى فقد تميزوا بلباسهم الخاص:"فهم يلبسون مآزر صفراء وعلى ظهر المئزر رقم متسلسل، هو بمثابة لوحة تسجيل، إنّهم يسمون "زيم" وينقلون يوميا الآلاف نحو وجهاتهم"[2]، فمن خلال مقولته يتّضح لنا أن الإنسان ملزم ومجبر على العمل والتقيد بتلك العادات والتقاليد لكي يصير عنصرا فعّالا في المجتمع ومؤثرا فأولئك الأشخاص قد اعتادوا على هذه المهنة ويرونها مصدر رزقهم، ولم يكتف بهذا فقط فقد تحدث عن لباس أهل "باماكو"وخاصة لباس النسوة الاعتيادي يقول: "أما لباس النسوة الاعتيادي فهو البوبو الافريقي وهو لباس كامل في شكل ثوب مزخرف ومزركش بالألوان الإفريقية، خاصة الأحمر والأصفر، أمّا الفتيات فيلبسن في الغالب قميصا وفي الأسفل ما يشبه الثوب بالألوان الإفريقية ويكون طويلا في العادة"[3]، فقد وصف لنا اللباس وكأننا نراه بالعين المجردة إذ نفهم من خلال تصويره أنهم لا يكشفون عن عوراتهم بل يحافظون عليها وذلك من خلال اللباس المحتشم الطويل الذي يشعر صاحبه بالارتياح ويبعد عنه الشبهة.

---

[1] الرواية، ص 152.

[2] الرواية، ص 224.

[3] الرواية، ص189.

إنّ الروائي والصحفي "نجم الدين" قد صور لنا طريقة لباس أهل إفريقيا، وما دام جزائري وجب علينا أن إلى طريقة اللّباس لدى الجزائريين، فيرتكز معظم أهل الجزائر يمكن اللباس المحتشم الفضفاض إلاّ أنّ مع التطوّر الحضاري والثقافي الذي يشهد، المجتمع فقد صار الأشخاص ينبعون الموضة التي تأتي من الخارج ويواكبون العصر من تطور وازدهار، وهناك تناقض بيننا وبينهم وخاصّة لباس الإسكافي، فنظرا لطبيعة عمله فهو لا يتجرأ وأن يلبس لباسا رسميّا لأنه يخاف أن يتلقّفه من تلك المسامير والأدوات الحادة فهو بذلك يحرص أن يرتدي ملابس قديمة ويبتعد عن الرسميّات فمن النبرة الأولى نعلم أنه إسكافي وخاصة من خلال المئزر الذي يرتديه ليحمي به ملابسه الرثّة.

أمّا بالنسبة للألوان المزركشة فنجدها غير محببة لدى الجزائريين لأنها تجعل من صاحبها محل سخرية من قبل البعض، فمعظمهم يميلون إلى الألوان القائمة التي تعكس نفسيّتهم ومشاعرهم، ويتفق اللباس الإفريقي مع اللباس الجزائري في منطقة الصحراء، حيث تتشابه الملحفة الصحراوية بألوانها مع اللباس الافريقي المدعم بالألوان.

***الأكـــــل:**

يختلف الأكل من بلد لآخر كل حسب طبيعة عيشه ومكانه الجغرافي وقد تنوّعت الأكلات في افريقيا على حسب السكان والعادات والتّقاليد والديانة، فلم يذكر الكاتب الأكل في السودان وليبيا على اعتبار أنهم دول مسلمة لا تختلف كثيرا عن الجزائر فأطباقها مستقاة من (البقوليات، اللحم، الخضر...) كلّ حسب تقنيات الطهي الخاصة به.

لكن نجد في بعض الدول الافريقية مثل: غينيا الاستوائية وملاوي يأكلون الحيوانات البرية مثل: الفئران، التماسيح، الحشرات، الديدان، القطط القردة...إلخ، أي الحيوانات المعروفة والغير معروفة سواء كانت مطهية أو حية، وهذا ما استنكره الصحفي نجم الدين لأنه مستبعد في عاداته الجزائرية:"وقد شعرت برغبة قوية في التقيء-

أكرمكم الله- خاصة بعد أن سمعت أن الفئران جزء من النظام الغذائي للسكان في مالاوي...مسلوقة أو مشوية كل شخص كما يفضل ...."[1].

وقال في موضع آخر:"هنا يأكلون القردة،التماسيحوالخنافس"[2]، بل حتّى أن هذه الحيوانات لا تغسل ولا تنقى نسيت أن أخبركم أن هذه الفئران تُشوى أيضا على الحالة التي يقبض عليها، ولا يتكلف بائعها، سوى ماءا ساخنا أو جمرا لتقديم وجبة سريعة"[3]،وهذا راجع إلى كمية الفقر التي تتخبط فيها شعوب افريقيا خاصة (غينيا الاستوائية إذلا يملكون حتى قوت يومهم لذلك يلجئون إلى اصطياد الحيوانات البرية وأكلها، وهو ما تستذكره المجتمعات العربية الجزائر)، خصوصا فلا يمكن أن نجد فندقا يطبخ هذه الأكلات أو يستعمل هذا اللّحم في أكله، إذ أن هذه الحيوانات مصدر للأوبئة هناك خاصة الانفلونزا، الايبولا، الملاريا، ممّا جعل معظم الدول تتخذ اجراءات للدخول إليها عن طريق التلقيح، المراقبة، اجبارية عرض الوثائق الخاصة بالتلقيح وهذا ما أكّده لنا الكاتب.

وينتشر هذا المرض "الايبولا" في معظم دول الجنوب افريقيا وهو مرض فروسي خطير ومميت في كثير من الأحيان، ينتقل للإنسان من الحيوانات البريّة.

في حين أن الفنادق التي تقدم اللحوم الحلال في مالاوي غالية جدا ومكلّفة: "اخترت فندق "فيكتوريا" رغم أن سعره مكلف مقارنة بميزانيتي اليومية، لكنني أحست بالأنس فيه، خدماته جيدة، وفيه وجبة افطار شهية، وصاحبه مسلم، واللحوم التي يقدمها في بعض الوجبات حلال...."[4]، رغم غلاء الفنادق التي توفّر الطعام الحلال فالروائي اختارها دون غيرها لكي يحافظ على مبادئه الدينية.

***المباني: العمران:**

---

[1] الرواية، ص80.

[2] الرواية، ص 60.

[3] الرواية، ص 80.

[4] :الرواية، ص82.

لم يعتمر الرحالة على ذكر الأكل، اللباسوالزواج عند الافريقيين بل تعدى ذلك إلى وصف المباني والمنشآت العمرانية والطرقات والمقاهي والفنادق.

لقد تحدّث نجم الدين عن الخرطوم عاصمة السودان التي تضمّ شوارع فسيحة ووصفها بأنها: "نظيفة رغم الأتربة الحمراء الذي تتراكم على نواحي الطرقات غير أن الشوارع الرئيسية فسيحة والطرقات مزدوجة، وبين كل طريقتين بعض الشجيرات تقف منتصبة في الوسط"[1]، فالكاتب يصف مشهد الطرقات في الخرطوم وصفا دقيقا ويستغرب اهتمامهم بنظافتها وحسن تنظيمها.

وتضمّ هذه الدولة أيضا العديد من المقاهي الجميلة وهذا ما ذكره في قوله:"وكان السهر ممتعا في هذه المدينة في مقاهيها الجميلة والأنيقة التي تقدم خدمات رائعة"[2]،ثم انتقل إلى ذكر المطار الذي يقع في قلب مدينة مالابو، الذي قال عنه: "المطار صغير لكنه جميل ويبدو أنّه يتم تجديده منذ فترة قصيرة"[3]، وأعجبه الشكل الداخلي والخارجي لمطار دولة مالاوي،فمن الناحية الخارجية يقول:"أنه مع الاقتراب إلى مطار "شليكا" بدا أنه أصغر مطار أراه في حياتي...يشبه برج المراقبة"[4]،أمّا من الناحية الداخلية فيقول: "داخل قاعة الوصول مكان تسلّم الحقائب، صغير جدّا، فالمطار كله عبارة عن غرفة مستطيلة تتوسّطها ثلاث مكاتب للشرطة"[5]، ومن شدّة إعجابه لهذا المطار نقل لنا صورة واضحة ودقيقة له من خلال وصفه للشكل الداخلي والخارجي وانبهارة بتصميمه، وهذا ما يدل على أن سكان مدينة مالاوي لهم خبرة واهتمام في العمران.

---

[1]:الرواية، ص 21.

[2]:الرواية، ص 31.

[3]:الرواية، ص 38.

[4]الرواية، ص 70.

[5]الرواية، ص 71.

وما شاهده أيضا نجم الدين في دولة مالاوي ملعب بلانتير واسمه كاميزوستايديوم:"الذي غرف تبديل ملابسه قذرة، بأرضية اصطناعية قديمة"[1]، تحتوي هذه الدولة كذلك على مساجد اسلامية وهذا دليل على أن الدين الاسلامي باد في مدينة "منغوش": "وهناك مساجد منتشرة في كل المدن بشكل لا يجعل الاسلام غريبا، ومن المساجد الأولى هنا مسجد أم علي جابر الذي شيّد مطلع الثمانينات"[2]، ومن خلال كلامه نلاحظ الطابع الإسلامي الذي طغى على البلاد فأي زائر يدرك للوهلة الأولى أنّه في بلد مسلم.

كما نجد العديد من الفنادق منها ما هو مصنّف 4 نجوم مثل فندق ريالسبروتيا: "إمكانيات الفنادق لا يتعدّى 3نجوم في أفضل الحالات، أما المصنفة بـ4 نجوم فهي محدودة للغاية ويبقى أفضلها في بلانتير فندق "ريالسبروتيا"، كما نجد فندق "فيكتوريا" وهو فندق مكلّف سعره، وتستمتع بالإقامة فيه وبالخدمات التي يقدمها:"اخترت فندق "فيكتوريا" رغم أن سعره مكلف لكنني أحسست بالأنس فيه، خدماته جيّدة". [3]

كما تتمتّع جنوب افريقيا بمباني مذهلة وراقية تصل إلى حد الأبراج شبيهة في ذلك بفخامة مباني الدول الأوروبية يقول عنها الكاتب:"وفي هذا البلد ليس من اللباقة أن تسأل فيه، فهناك حواجز عالية مثلما هي عالية أسوار البنايات، والمساكن لها المسافات فهي شاسعة لبن الناس فالجميع يسكنون في بيوت شائكة مسيجة بالكهرباء الصاعقة".[4]

كما أنّ هذه الدولة جنوب افريقيا مليئة بالأحياء منها حي "سويتو" وهي أفقر أحياء "جوهانسبورغ" ويقول عنه عند مشاهدته: "أنه من بعيد مثل سوق شعبي كبير تتراص محلاته البدائية بأسقفها المعدنية وعندما تدنو منه تظهر مبان هرمية قرينة إلى بعضها بأسقف حمراء وخضراء بعضها بداخله متاجر بسيطة".[5]

---

[1] الرواية، ص 84.

[2] الرواية، ص87.

[3] الرواية، ص82.

[4] الرواية، ص 94.

[5] الرواية، ص109.

أما أشهر منطقة في جنوب افريقيا فهي "حي سيتي" أو مدينة الشمس التي تعتبر وجهة سياحية بارزة يقول عنها: ضمن سيتي تحفة فريدة فهي مدينة سياحيّة بغابات كثيفة، وبحيرات مع هندسة افريقية كل شيء فيها هو تحفة مصممة مع بروج محلية افريقية...بقصر المملكة المفقود هو بحدّ ذاته إعجاز هندسي مذهل ستقف مطولا أمام روعته وبالمناسبة يعتبر أجمل فندق في البلاد".[1]

ومن الفنادق العالمية الموجودة في دولة "بوركينا فاسو" فندق سيلانديد المصنف بـ4 نجوم يقول عنه الكاتب واصفا إيّاه:"أنه فندق جميل مليء بالتحف الفنية والتماثيل للبيع...الجميل أن المكان رائع وسط المدينة، مقابل مطعم مقهى يسيره ايطاليون خدماته رائعة".[2]

إلى جانب أن هذه الدولة فيها مظاهر الفقر بادية يقول:"أحياء قصديرية من الصفيح ومحلات بدائية وتجارة بسيطة على قارعة الطريق..."[3]،وهناك أحياء فقيرة على حواف الطرقات تنعدم فيها مستلزمات الحياة الكريمة لكن في العاصمة هناك عكس ما قلنا فأحس الراوي أنّه انتقل وسافر عبر الزمن من الفقر الشديد إلى قمة الثراء والغنى.

أمّا منطقة "واقادوقو" فهي منطقة رائعة بها صالون تجميل يقول:"وتشاهد صالونات التّجميل الراقية".[4]

وهكذا وصف نجم الدين العديد من الأماكن في رحلته والعديد من المباني بعضها راق وبعضها أقل رقي وكل ذلك راجع إلى درجة الغنى لكلّ بلد.

***الـــــزواج:**

الزواج هو عقد شرعي بين الرجل والمرأة لبناء أسرة مستقلة، ويقوم على رضا الطرفين مع وجود الولي الشرعي، إذ يعتبر ظاهرة اجتماعية مرتبطة بشكل كبير بالأعراف والعادات والتقاليد السائدة في كل مجتمع، ولقد

---

[1] الرواية، ص115.

[2] الرواية، ص121.

[3] الرواية، ص129.

[4] الرواية،ص130.

تطرق نجم الدين في روايته إلى وصف ظاهرة الزواج في افريقيا، ففي مالي وصف الزواج مثل شراء حبّة أناناس يقول في روايته:"صبيحة اليوم الموالي ذهب صديقنا الموريطاني مع الشابة إلى المصالح الرسمية ووقعا على عقد زواجهما هكذا بكلّ المصالح الرسمية ووقعا على عقد زواجهما هكذا بكل سهولة، وكأنه ذهب لشراء حبة أناناس".[1]

فهذا يدلّ على سلطة الزواج لديهم ولا يشترط النسوة على الرجال فقد يكون مهرهن كمية من المكسرات التي تباع بأسعار منخفضة على حدّ قوله.

أما الزواج في البنين فقد وصفه قائلا:"الرجل يحق له أن يتزوج من أكثر من اِمرأة،ووفي الغالب لا يسجل زواجه، كما لا يقيد أبناءه وهنا يوجد الزواج عن طريق الاختطاف فتزوج المرأة رغما عن أنفها، وتُجبر الأرملة أن تظل حبيسة بيتها لأشهر من العدة، لا تستحم ولا تتعطر كما لا تغادر بيئتها حتى تثبت أنها ليست مسؤولة عن وفاته"[2]، فالزواج يكون بوثيقة رسمية واضحة إلا أنهم يعتبرونه أمر عادي لا يسجل الأطفال عند الولادة فكيف تكون معاملتهم لتلك الزوجات إذ تصبح مثل الدمى يحركونها كيفما شاؤوا، فهمهم إرضاء غريزتهم ولا يهتمواإلى مشاعرها أو رأيها،فالمرأة بطبيعتها تحب التعطر والزينة فهم هذا التقليد تصبح رهينة وحبيسة البيت، ونجدها تعاني ولكن لا تظهر ذلك.

كما اشترطوا خروجها من منزلها فقد قال: "أما إذا خرجت فلا يكون ذلك إلا للنوم عند قبره، وفي بعض القبائل تجبر الأرملة على الزواج من قريب زوجها"[3]، فمن خلال هذا الوصف للمرأة الأرملة نجدهم يعتبرونها السبب الوحيد في وفاة زوجها ويحمّلونها المسؤولية، فقد غاب الأهل ولا أحد يقف بجانبها، إضافة إلى عدم

---

[1] الرواية، ص 188

[2] الرواية، ص295.

[3] الرواية، ص235.

معاقبة الرجل بالخيانة الزوجية يقل "لا يعاقب أبدا على الخيانة الزوجية التي يرتكبها الزوج"[1]، هنا يظهر الفرق بين الرجل والمرأة، فرغم أنّها تتحمل مسؤولية البيت ومشقتهلا تحظى باهتمام القانون لديهم وحتى وإن تعرضت للخيانة فلا أحد يهتم بها وكأنها حجر لا يشعر ولا يتنفس.

ونظرا لأهمية موضوع الزواج كونه علاقة وثيقة تحكمها روابط دينية وجب أن نوازن بين الزواج في الدول الإفريقية والزواج في الجزائر، فالإنسان الذي يتجاهل هذه العادات والتقاليد ويكسرها يعتبر متجاوزا لهذه القوانين، فالزواج في الجزائر تحكمه شروط ومعايير ويجب على الأهل الحضور من الخطوبة إلى غاية انتهاء الزواج أو بمعنى آخر إلى غاية إرسال العروس إلى بيت زوجها، فحضور الأهل والأقارب وإعداد الوليمة أمر ضروي وخاصة موافقة العروس وأهلها، فلا تجبر البنت على الزواج من شخص لا تكن له مشاعر وإن وجدت فنجدها شاذة، فلا يمكن أن تختطف البنت وترغم على الزواج لأن من شروطه القبول أما عند وفاة الزوج تقوم الزوجة بالعدة فتخرج في النهار ولكن لا تنام خارجا، فهي ليست مسؤولة عن وفاة زوجها إنّما هذا قدر من عند الله تعالى.

أمّا الحدث عن الخيانة الزوجية فهي أمر خطير ويعاقب عليه القانون، لأنّ المرأة بدورها عنصر فعّال في المجتمع تؤثر وتتأثر ولها حقوقها وعليها واجباتها، حتى وإن تعرضت للخيانة الزوجية فيحق لها رفع دعوة قضائية ومتابعة زوجها ورصده في إطار القانون وهذا يضمن لها حقها، فالزواج في الجزائر يمثل الرابطة الشرعية والقانونية بين الرجل والمرأة ولا يتم هذا الرباط إلا بمهر متفق عليه بين الطرفين، ويكون هناك علاقة احترام وتقدير بين الأنساب كما لا ننسى الترتيبات التي يقومون بها قبل مدة طويلة من تحضير قاعة الحفلات إلى الحلويات والمرطبات والحلي...إلى أن ينتهي بذهاب العروس إلى بيت زوجها بفستانها الأبيض الناصع كالثلج وهنا يتم الزواج وتذهب بعدها العروس مع زوجها وهذا ما يسمى بـ "السبوع" ، فالزواج الجزائري لا يقل أهمية عن باقي الدول إنما له عاداته وتقاليده وجب على كل واحد منا احترامها والالتزام بها.

ب–المعتقدات الشعبيّة:

---

[1] الرواية، ص235.

*السحر/الشعـوذة:

السحر هو تمائم وعزائم تؤثّر على الأبدان والقلوب، يؤدي بصاحبه إلى المرض ويفرقه عن أحبابه، وقد"وقف الإسلام من السحر موقفا حاسما، فسدّ كلّ طريق يؤدّي إليه، وحرم تعلمه وتعليمه وممارسته، منعا لضرره، وحسما لمادة الخرافة أن تتسلل إلى عقول المسلمين فتعطلها عن التفكير الصّحيح والتخطيط القائم على قانون الأسباب والمسببات وعرفه أبو بكر الرازي بأنه: "كل أمر خفي سبّبه وتخيل على غير حقيقته، ويجري مجرى التمويه والخدع"[1]،فمن خلال تعريف السحر نرى أنّه أمر خطير وجب تجنبه نظرا للآثار السلبية التي تنعكس على الإنسان وحياته وتقلبها رأسا على عقب، كما أنه يبعد الساحر عن الطريق التي تؤدّي إلى نيل رضا الله تعالى.

وقد نال هذا الموضوع تداولا من طرف الأدباء وتجلّى هذا من خلال كتاباتهم، إذ تطرق نجم الدين سيدي عثمان إلى هذا الموضوع الحسّاس من خلال معايشته لبعض الأفراد أثناء رحلته إلى إفريقيا ونخص بالذكر مالي إذ يقول فر روايته: "كان يتردد على فندقنا شخص يقول أنه ساحر، يأتي كل يوم، وهو يقول أنه تفضل خلطة خاصة سمكين فريق وفاق سطيف من التتويج بكأس الاتحاد الإفريقي2009 التي لعب نهايتها في باماكو أمام الملعب المالي"[2]، ففي معتقداتهم أنهملو مارسوا السحر لفازوا بكل سهولة على المنتخب المنافس إذ يستعملون في ذلك التمائم والطلاسم التي تساعدهم على إبقاء السحر.

وأكمل قائلا:"وكنت في غرفتي أكتب عندما وصل الساحر، ودخل صديقي ومعه صديق ثالث لنا، وبدأ الساحر بقراءة بعض التمائم، ثمّ أصبح صوته مرتفعا بلهجة البومبارا قبل أن يسألنا بالفرنسيّة ما لون بذلة فريقكم ومن اللاّعب الّذي تريدون أن يصاب في المباراة من الفريق المالي"[3]، ويتّضح لنا ثقة الساحر بنفسه أما الروائي

(1) إسلام ويب، مقالة العقيدة الإسلامية "السحر والجن والحسد"تاريخ النشر 2006/02/19.

(2)الرواية، ص 185.

(3)الرواية، ص 186.

فقد كان لا يهتم ويقولأنّه محتال مخادع إلا أن مع نهاية المباراة إلاّ أنّ مع نهاية المباراة أصيب اللاعب رقم10 وقد يكون من محض الصدفة إلاأنّه زادت ثقته بنفسه وربح الكثير من المال من هؤلاء، ويتبع قوله في موضوع السحر فيقول: "يروي لنا صديقي أن الساحر هذا يجلس في غرفة صغيرة مع الحيوانات المحنّطة ورؤوس بعض المخلوقات التي تستعمل في السحر وأغراض أخرى لم يتذكرها وأخرى نسيتها أنا وقد قال الساحر الأكبر إذا أردتم ضمان الفوز فاشتروا عنزة و أريقوا دمها في هذا المكان".[1]

فقد وصف لناالروائي طريقة السحر وصوّرها بأسلوبهوهو أنّ لكل ساحر أدواته التي يستعملها في ممارسة الطقوس، ويبقى الساحر في مالي مجرّد شخص عادي لا يخاف منه النّاس والدليل على ذلك أنه جلس معهم في الغرفة، ويكمل وصفه للسحر وهذه المرّة انتقل إلى مدينة البنين" الفودو" ديانة السحر الأسود ويقول نجم الدين: "لإن هذه الديانة مرتبطة جدا بالسحرالأسود وكذلك بالخرافة خاصة فيما يتعلق بالدمى التي تصنع من القش والقماش، وهذه الأخيرة يوضع عليها من القش والقماش، وهذه الأخيرة يوضع عليها شعر أو قطرات دم أو أظافر شخص يبعث أحد عن إيذائه ثم يقومون بغرس مجموعة من الإبر بالدمية"[2]، فالسحر الأسود هو نوع من الشعوذة التي تستعين بالشياطين والجنلإتباع الضرر بالآخر كما تؤثر على بدنهم وعقلهم ويعتبر من أخطر أنواع السحر والمحرمات والموبقات في الإسلام وغالبا ما يكون هدفه التدمير والقتل والانتقام فهو شرك بالله تعالى.

ويكمل الروائي حديثه عن السحر فيقول "هم يعتقدون أنني جئت لإبطال السحر، ووفق معلومات صديقي فإن الناس هنا جلبوا مشعوذا معروفا في "كوتونو" صبيحة ذلك اليوم لأجل تحضير خلطة تسمح لفريقهم الكروي من تحقيق الانتصار كما جهزوا ما يعرفه بالقريقري ووضعوه يوم المباراة خلف مرمى حارسهم لأجل أن تحميهم هذه الطّلاسم من الأهداف وتمنعها عنهم علما أنّ شباك منتخب بلادهم اهتزت 3مرات كاملة مع 3أهداف جزائرية"[3]، فهذا الاعتقاد بأن السحر سيضمن لهم الفوزأمر غريب وأن اللاعبين تساعدهم الطلاسم على الفوز،

---

[1] الرواية، ص 187.

[2] الرواية، ص 230.

[3] الرواية، ص240.

ولكن كان الوضع متأزما وخسروافاللاّعب الحقيقي هو الذي يبذل قصارى جهده لتحقيق الفوز ولا يتّكل على الساحر المشعوذ الذي لا تطول طلاسمه، وعندما نقارن ونتحدّث عن السحر في الجزائر نجده لا يخرج كثيرا عمّا رواه "نجم الدين" في روايته، إذ تعدّ من الظواهر الاجتماعية السلبيّة المقلقة، والتي انتشرت بشكل كبير، إلا أن السلطات الجزائرية شددت على معاقبة كل شخص يمارس هذه الطقوس خاصة بعدما اكتشفوا كميات كبيرة من التعاويذ والطّلاسم المدفونة في المقابر أو في المنازل، ففي الجزائر يتحمل كل ساحر عقوبته لأن السحر محرم شرعا لقوله تعالى:﴿**وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ**﴾[سورة البقرة / 102]

فالسحر من الشرك بالله والموبقات السبع التي حرمها الله سبحانه وتعالى بل واعتبرها الشارع كفرا قال صلى الله عليه وسلم: "من أتى كاهنا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد". رواه أبو داوود وصححه الحاكم ،في حين نجد القانون الجزائري يجرم أفعال السحر والشعوذة صراحة بموجب القانون الجديد المعدل في قانون العقوبات (القانون 24-06)المؤرخ في 28-04-2024 حيث أدرجها أي (السحر) في قسم خاص يعاقب عليها بالسجن من سنة إلى 3 سنوات حسب ما يترتّب عليه من أضرارا جسدية أو معنوية أو كان هدفه النصب والاحتيال ويتمّ التعامل مع قضايا السحر كالجرائم الجنائية، ويقوم القضاء بتكييف الأفعال بالاستعانة بطلاسم-ملابس-مواد-ادّعاءات- كأمثلة مادية.

***الأساطير والأمثال الشعبية:**

-الأسطـورة:هي حكاية تقليدية خرافية قديمة، تعتمد على الخيال سواء في الزمن أو مكان أو بأشخاص معينين وقد طغت الأساطير اليونانية على الأدب العربي في العصر الحديث، واستعمل الأدباء شخصياتها لتكسبهم حسا خارقا، وقوة غير مادية، مما يضفي على الرواية تميزا خاصا، وقوة غير مادية، مما يضفي على الرواية تميزا خاصامثل:"أسطورة أدونيس: مثل: "أسطورة أدونيس التي كثرت في الشعر العربي الحديث، وقد أشار الكاتب إلى أسطورة"يانينقا" فهي ملحمة افريقية فهي ملحمة افريقية مشهورة في التراث الشعبي "موسي" في "بوركينا فاسو"

تروي القصة هروب الأميرة الشابة المحاربة على متن جوادها لرفضها للزواج القهري من أحد سكان بلدتها، لتصبح فيما بعد أُمًّا مؤسسة لامبراطورية "موسي" العريقة في غرب افريقيا، وقد أخذ من هذه الأسطورة "رمز الخيل" الّذي يجسّد (القوة) في الشعب الافريقي والرغبة في التحرّر وكسر القيود، والشّجاعة والرغبة في السفر وتغيير الواقع المعيشي، وهناك مايعرف بأسطورة "الفودو"أو الموت التي تعتبر من أهم المعتقدات عند شعب البنين التي ترتبط بإحدى الديانات الافريقية وهي تعني الاعتقاد بالشر المطلق والدمى الملعونة "أسطورة الزمبي" وهي ماتعرف عند الغرب بالسحر الاسود وهي ترتبط بعودة الميت الى الحياة لتلقي الشرور على الناس.

حيث يقول الروائي: "التقيت بمن يؤمن بالفودو ويعتقد بالقدرات الخارقة الكهنة، وبعودة الموتى إلى الحياة ويقسمون أنّها شاهدوا أمواتا يُبعثون"[1]

وهذا أمر لا يصدّقه العقل والغريب انّه كان يركض وراء الناس وهم يفرّون وإنّ لُمِس أحدهم تحلّ عليه اللعنة ويموت، وهذا الديانة مرتبطة بالسحر الأسود أو ما يعر بالسحر المظلم او الشعوذة وهو نوع من أنواع السح يعتمد على القوى الحاقدة الشريرة يستعمل للسرقة او التأثير أو التحكّم في المسحور وإيذائه أو حتى قتله، وهو مجموعة من الطلاسم أو التّعويذات التي يستعملها الساحر معتقدا وجود قوى غيبيّة تلحق الضرر بضحيّته يستعمل فيها بقايا الأقمشة او بقايا أعضاء من الجسم ليتمكّن من إيذائه.

وهذا السحر يتنافى مع وجود الإيمان لما يتضمّنه من طلاسم وعقد وأمور شركيّة منافية لجوهر العقيدة الإسلاميّة، إضافة إلى عبادة الشياطين والاستغاثة بهم فهو أيضا مناف للعقيدة النصرانيّة واليهوديّة التي تعتبره خطيئة وأمر مناقض للأخلاق.

***الأمثـــال:**

المثل الشعبي من أرقى الفنون الشعبية وأدومها يعيش مع الإنسان في أي زمان ومكان يعرّفه عبد الحميد بورايو على أنّه: "جوهر اللفظ وحى المعاني التي تخيّرتها العرب وقدّمتها العجم ونطق بها في كل زمان على اللسان

[1]:الرواية، ص 31.

هي أبقى من الشعر وأشر من الخطابة لم يسر مسيرها ولا عمّ عمومها"[1]،فهو خلاصة الكلام بأجمل المعاني وأرع الألفاظ أُختير بعناية ليكون أبلغ في التأثير ينتشر بين النّاس ويتلقّه جيل عن جيل.

ثم استخدم الكاتب بعض الأمثال الشعبية مثل قوله:"شعب لا يعجبه العجب ولا الصيام في رجب".[2]

وهو مثلعربي شعبي دارج يضرب لوصف الشخص المتذمّر المعترض على كل شيء الذي لا يرضيه شيء ولا يملأ عينه خير، وهو نظير المثل العربي الفصيح"إرضاء الناس غاية لا تدرك" أي أن الناس إذا أجمعوا على مدحك فستجد منهم من يذمّك، وهو أيضا يوافق كلام الإمام الشافعي –رحمه الله– حين قال:

ضحكت فقالوا ألا تحتشم بكيت فقالوا ألا تبتسم

بسمت فقالوا يرائي بها عبست فقالوا بدا ما كتم

صمت فقالوا كليل اللسان نطقت فقالوا كثير الكلم.[3]

وهذا المثل (لا يعجبه العجب ولا الصوم في رجب) عبّر به الكاتب عن أبناء بلده (الجزائر) الذين لا يمكنهم أن يعيشوا في بيئة ومناخ مثل مناخ السودان، فالحرارة مرتفعة إضافة إلى الفقر والعوز والجوع والحياة الريفية، فشعب الجزائر شعب متذمّر لم يرض بالوضع في الجزائر مع أنه جيد مقارنة بوضع السودان فكيف سيرضى بوضع السودان إذن.

استعمل الكاتب أيضا مثلا شعبيا في "مالاوي" يقول: ششيلمانغو ندي مويو" أي الذرة هي الحياة"[4]،وهو نظير المثل العربي اليمني"البيت المرة، والحب الذرة" أي أن البيت الناجح يبني على أساس المرأة الصالحة، كما أن الحياة تقوم على الحب فإذا توفر القوة اطمأنت النّفس وزال الخوف من الجوع، فالذرّة إذن هي الحياة ومن دونها فالموت بالجوع أمر محتوم.

---

(1) عبد الحميد بورايو، الأدب الشعبي الجزائري، دراسة أشكال الأدب في الفنون الشعبية في الجزائر، دار القصبة للنشر، الجزار، دط، دت، ص57.

(2)الرواية، ص13.

(3) أبو عبد الله محمد ادريس الشاعي، ديوان الشافعي، جمع وشرح اميل بديع يعقوب، دار الكتاب العربي، ط1996، ص155.

(4): فاطمة موسى بين أدبين دراسات في الأدبين العربي والانجليزي، الأنجلو المصرية 1965، س 12.

4.3-البعد الفني والأدبي في الرّواية:

*اللغة وجماليتها في الرّواية:

الألفاظ قوالب"لم توضع للدلالة على الموجودات الخارجية بل وضعت للدّلالة على المعاني والصور الذهنية، وإنّ اللغة لا تعكس الأشياء الخارجية في العالم بقدر ما تعكس أفكارنا عنها".[1]

فاللغة تعبر عن أفكار والتصورات الموجودة في ذهن مستعمليها بعيدة عن تصوير العالم الخارجي، والملاحظ في هذه الرواية هو استعمال أسلوب المفارقة أي الجمع بين الأضداد وهو أسلوب تعبيري يهدف إلى ايصال المعنى بطريقة إيحائية (الضد بالضد يتضح) تجعل القارئ يقبل على قراءة النص لمافيه من الغرابة في العنوان.

والمفارقة لا تخرج عن كونها أسلوب أو صيغة بلاغية، يستعملها المرء ليقول قولاأويتصرف تصرّفا يحمل معنيين وهي: "لغة اتصال يسري بين الكاتب والقارئ ومن جمالياتها، الإيحاء والتغريب وازدواجية المعنى وهي من أفضل وسائل التّعبير بأسلوب غير مباشر".[2]

والملاحظ على بعض عناوين رحلة "نجم الدين سيدي عثمان" أنها متضادة ومتعاكسة "فيه بوركينافاسو بلد النقاء، والشقاءوالذهب".[3]

فنجم الدين هنا يكشف لنا عن حالة التّعب والفقر الذي يعيشه أطفال بوركينا فاسو الذين يعيشون في هدوء وأمن لكن وضعهم المادي مزري، فهم يحكمون السلع على ظهورهم، ويقطعون مسافات كبيرة من أجل الوصول للأسواق لبيع تلك السلع، فالعنوان هنا يعبر عن حالة التناقض والتضاد التي لاحظها الكاتب، أما بالنسبة

---

[1] جابرعصفور، الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي، دار الثقافة للطباعة والنشر، مصر، ط3، 1992، ص12.

[2] هيثم محمد حديثاوي، المفارقة في شعر أبي علاء المعري، دراسة تحليلية في البنية والمغزى، مؤسسة حمادة للنشر والتوزيع، دار اليازوري، الأردن، د ط، 2012، ص27.

[3] الرواية، ص120.

للذّهب فيوحي بثراء هذا البلد من حيث المعادن لأنّ أولى صادراته هي الذهب، فهنا ظهرت المفارقة بأنّ الكاتب أتى بثلاث كلمات معناها متضاد (النقاء≠ الشقاء/ الذهب).

كذلك عبارة "باماكو القريبة منا البعيدة عنا"[1]، وتبدو المفارقة هنا واضحة (القريبة ≠البعيدة) والمقصود هنا أن مالي قريبة منا في بعض الأمور مثلا الدّين والموقع فمالي قريبة من الجزائر بل هي دولة مجاورة لها، إلاّ أنها بعيدة عنها في كثير من الأمور مثل: اللون، الجنس، الثقافة.

-وجاء في قوله كذلك: "تنزانيادار الأمان والهروين والنفوذ اليهودي"[2]، عبارة ذات معنى دلالي متضاد، منى خفيّ، وتتجلى المفارقة في (الأمان≠الهروين≠النفوذ).

فالمعروف أن البلد الذي توجد فيه المخدرات تكثر فيه الجرائم والفوضى، إلا أن تنزانيا فيها الأمان ولا تستغرب من هذا البلد لأنّه بلد إفريقي وافريقيا القارة السمراء كلها غرائب وعجائب وتناقضات "في جنوب افريقيا حيث الجنة والنار على مرمى الحجر"[3]، فالمفارقة هنا جاءت واضحة بتضاد اللفظتين (الجنة≠ النار) والجنة هنا عبر بها الكاتب عن جمال الطبيعة، وكذلك نمط العيش من أكل وعمل وبنيان وتطور والنار هي الحروب والجرائم والمخدّرات والفقر.

ويقول في موضع آخر: "هي الأمن والرهبة والخوف والطمأنينة النقاء والخبث الشياطين والملائكة هي الأخضر والقفار هي الأطلسي والهندي"[4]، فمن هذه المفارقات توحي للقارئ بثنائية السلبي والإيجابي في الوقت نفسه، بحيث يفتح "سيدي عثمان" أمامه باب الأمل وباب الألم، وصور جنوب إفريقيا جنة وفي نفس الوقت أنّها نار.

---

[1] الرواية، ص173.
[2] الرواية، ص 194.
[3] الرواية، ص 94.
[4] الرواية، ص 94.

وقوله أيضا: "دخلت السودان بلدا وغادرته اثنان"[1]، وهذا يدل على انقسامالسودان شماله عن جنوبه، فأصبح بلدين بلد (الشمال) المسلم الذي أثنى نجم الدين على كل ما فيه إلا أنه يعد الانقسام صار فقيرا بسبب استيلاء الجنوب على ثرواته ومعادنه، أما البلد الثاني (الجنوب) فهو بلد اختلطت فيه الديانات شعبه يميل إلى شعوب جنوب افريقيا حيث لا تحكمه النظم ولا العادات، يتعاطى الممنوعات إلا أنه يكلمك ثروات طبيعية.

وقوله: "ليتسي الثالث: ملك بلا تاج"[2]، الملك الذي يدير "ليزوتو" رجل عظيم لأنه هو من أسس المملكة إلا أنّه ليس كباقي الملوك لا يتمتع بالبذخ الذي يملكه عادة الملوك والأمراء، وليس له دخل في اتخاذ قرارات البلاد بل "هو ممنوع من المشاركة في القرارات السياسية"[3] لذلك فهو مجرّد صورة الملك لكن غيّره (رئيس الوزراء) هو من يدير البلاد حقيقة.

-استعمال أسلوب السخرية والتهكم:

والسخرية هي أسلوب هزلي يستعمله المرء لجلب انتباه القارئ لأنه عكس ما يريده وعكس ما يطمع في سماعه.فلننظر إلى قول نجم الدين: " شعب كسول ينتظر البواخر ليأكل"[4]، فأراد الكاتب هنا أن يفضح واقع الشعب الغنيّ فهو لا يريد العمل بل ينتظر البواخر القادمة من الكاميرون للأكل، فالشعب هنا شعب اتّكالي مشغول بالشرب واللهو والنوم وليس همه العمل والانتاج.

-وقوله: "عندما يعجز المكيّف عن التّكييف"[5]،فهو يريد تمرير فكرة من خلال هذه السخريّةفرغم أنّ درجة الحرارة مرتفعة جدا في "باماكو" إلاّ أن المكيّفات عجزت عن التنفس بل وعكس أداء مهامها.

---

[1] الرواية، ص17.
[2] الرواية، ص162.
[3] الرواية، ص163.
[4] الرواية، ص63.
[5] الرواية، ص179.

وفي قول آخر: "جواز سفر للبيع"[1]، فهو يسخر من الحكومة التي تخلّت عن وظيفتها في تحصيل جوازات السفر، وأصبح الشعب هو من تتأخر في هذه المهمة فكلّ ما عليه هو دفع مبلغ مالي لتحصل على جواز سفر، فهذا بأسلوب هزلي ساخر يجعل المتلقي يصاب بنوبة ضحك "الزواج مثل شراء حبة أناناس"[2]، وهذا الأسلوب يثير نوبة ضحك عند سماعه، فسهولة الزواج في "باماكو" مثل شراء حبة واحدة من الفاكهة،فالزوجان يذهبان إلى المصالح الرسمية ويمضيان الوثائق التي تثبت ارتباطها رسميا بدون مقدّمات أو خطوبة أو أي شيء ثم يعود الزوجان ويقيمان حفلا مصغّرا يجمع العائلتين ثم يقضيان ليلتهما عند أهل العروس، وهو شيء مستغرب في الأعراف الشعبيّة.

-"يستيقظون باكرا حتى لا يسبقهم أحد إلى الشقاء"[3]، فهذا الكلام فيه أسلوب سخرية، إذ أن الشعبالبوركينافي يستيقظ باكرا ليذهبوا إلى العمل وأي عمل إنّه قطعة من العذاب والشقاء لأنّه إذا ما حمل السلع والأثقال أو التسوّل في الشوارع، والطرقات، فهم يقصدون الشقاء والتعب مباشرة.

***استعمال الصور الواقعية والفوتوغرافية:**

لقد اتخذ نجم الدين من الصور الفوتوغرافية سلاحًا يثبت مصداقيّة رحلته، وكذلك لتخليد الصّور وترسيخها في الذاكرة، وتقريب صورة افريقيا إلى ذهن المتلقّي، فقام بتصويرها بعض الأشخاص مثلعصام الحضري وهو زميل لنجم الدين وقد تجاور معه في أمور كثيرة، وسجل صور جميلة عن المدينة السياحية"صن سيتي"التي تزخر بغابات كثيفة، وبحيرات مع هندسية افريقية، كلّ شيء فيها هو تحفة مصمّمة بروح محلية افريقية لأنها منحوتة ومجسّدة في صخور، فالمناظر الطبيعية بها ساحرة". [4]

---

[1] الرواية، ص 156.

[2] الرواية، ص 188.

[3] الرواية، ص 113.

[4] الرواية، ص 115.

كما صور "نجم الدين" العديد من الصور الفوتوغرافية مثل: "صورة العارضة التي حطمها المناصرين الجزائريين أثناء تسجيل عنتر يحي لهدف في مباراة الجزائر ومصر المؤهلة للمونديال".[1]

إضافة إلى صورة التذكرة التي صوّرها نجم الدين خلال رحلته عبر الطائرة عند مغادرته لغينيا الاستوائية، والتي تحمل رمزXXX"[2]الذي أثار الخوف والرهبة في نفسية الكاتب اعتقادا منه أنه سيتم منعه من مغادرة غينيا إلى غير ذلك من الصّور.

***جمالية السرد والوصف في الرواية:**

تقوم الرحلة بالأساس على أسلوب السرد والوصف للأحداث التي يلاحظها الرحّالة وينقلها إلى المتلقي في قالب لغوي بسيط، وهذا ما نلاحظه على أسلوب نجم الدين الذي يتّسم بالبساطة في سرد الأحداث والحقائق فهو يقوم مقام السّارد المشاهد للأحداث بنفسه، يقول:"خرجت مبكرا من الفندق الصيني الذي أقيم فيه، كان هناك عمل بانتظاري في صبيحة هذا اليوم اتفق هنا أنه يوم اندلا ع الثورة".[3]

فهذا الكلام لا يحتاج إلى ترجمة أو شرح بل هو وصفه لما يراه الرحالة،والوصفعامل فعّال في الرحلة، يعتمد عليه السارد لخلق جو وصورة معينة في ذهن المتلقّي تجذبه إلى المتابعة، فالنّظر إلى الوصف في قوله:"إن الرجل السوداني بشوش جدا أساريره منفرجة على الدوام عضلات التهجم في وجهه معطلة..."[4]في حين يصف ملامح شعب آخر قائلا:"وجه عريض، وأنف مفلطح، وشعره مجعّد هم أقل وسامة وجمالا".[5]

فنجم الدين يصف الأشخاص وصفا واقعيا لهيئة لها وجود حقيقي على أرض الواقع،ووصفه هذا يجعل القارئ يتخيّل ويتصور شخصيته وكأنه يشاهدها.

كما يصف المكان المرتبط بالوجود الإنساني "فالوصفهو الذي يعطي المكان نكهة تخصصه وتعطيه مكانة امتيازية من بين المكونات السردية".[6]

---

[1]الرواية، ص 23.

[2]الرواية، ص 56.

[3]الرواية،ص 14.

[4]:الرواية، ص 10.

[5]:الرواية، ص 40.

[6]عبد المالك مرتاض: في نظرية الرواية: دار الغرب للنشر والتوزيع د، ط، 2005، ص87.

ووصف "مالاوي" بقوله:"كنت منبهرا مشدوها بالاخضرارعند الاقتراب من الأرض إنها تبدو من الأعلى لوجه فنية رائعة تسلب عقول الحالمين وتسرّ غاباتها عيون الناظرين"[1]هنا وصف المكان وصفا دقيقا جمله بألفاظه.

-ثم يصف مدينة باماكو بقوله:"وقد لا يبهرني تصميم مقرها من الداخل إبداع هندسي مبهر، مساحة شاسعة خضرة وكأنّه قطعة من الجنّة"[2]، هو يعطي صورة للقارئ حقيقية تجعله يقوم بعمليّة قياسيّة منطقيّة للمدن والأماكن ممّا يُضفي عليها طابع الواقعيّة والحقيقيّة.

***الصّور البيانيّة كمحمول لغوي وجمالي:**

البيان هو أداة الكاتب السحريّة لتحويل الكلمات الجافّة إلى عوالم نابضة بالحياة، تعمل على تجسيد المعاني المجردة السطحية إلىأفكار ذهنية مثيرة مما يخلق تجربة قراءة ممتعة وعميقة بعيدا عن السرد التقريري الواقعي، وفي رواية "رحلات إلى ربوع افريقيا" وظف الكاتب طيفا واسعا من الصور البيانية لتقريب الصور للقارئ وإبراز انفعالاته مثل:"في السودان يوم انفصل الجنوب وفقد الشمال ساقيه"، فقد شبّه الشمال السوداني بكائن حي، له جسم مكوّن من جزء علوي، وساقين يقف عليهما، فإذا بُترت الساقين أصبح الجسم مشلولا عن الحركة، فكذلك السودان أصبح مشلول الاقتصاد يوم انفصل عنه جنوبه، لأنّ الجنوب أخذ معه خيراته من معادن وثروات، فبذلك بُتِر اقتصاد البلاد وأصبحت مشلولة عن التطوّر والتقدم والحركة.

ثمّ كُنِيَ عن انقسام السودان بقوله:"دخلت السودان بلدا وغادرته اثنتان" فهي كتابة عن انقسام البلد إلى جزأين جزء شمالي مسلم فقير، وجزء جنوبي متعدّد الديانات وغني وهنا الانقسام كان بعد جانفي 2011.

-"القانون هو الغائب الوحيد هنا" استعارة مكنية إذ شُبّه القانون وهو عبارة عن نظام يخضع له الشعب بإنسان غائب عن الوجود فالقانون في جنوب افريقيا غير موجود، فيمكن لأي شخص شراء الشهادات العلميّة المختلفة بدون دراسة أو معرفة فقط، بالمال ويمكن للمهاجرين لهذا البلد امتلاك الجنسيّة ببضع دراهم، ويمكنهم أيضا

---

[1] الرواية، ص 70.

[2] الرواية، ص180.

العمل، وتقاضي الأجور أضعاف الشعب الأصلي:"بالمال يمكنك أن تخرج من السجن حتى وإن ارتكبت جريمة قتل" فالقانون لا يخضع له أحد بل المال هنا فوق القانون.

-خيط رفيع بين الثروة والعودة في تابوت:وهذه كناية عن الموت (العودة في تابوت)، فبين الحياة الغنية والرفاهية والعز والثراء وبين الموت والهلاك خيط رقيق يمكن أن ينقطع في أي وقت، ويبقى أحد الطرفين، إمّاالثراء وإما الموت، لأن في جنوب افريقياتكثر شركات الأسلحة ومحلات بيعها وكذلك تكثر عصابات بيع الممنوعات والمخدّرات بشتى أنواعها، فإذا دخلت مع ذه الشركات أو العصابات إمّا أن تصبح ثريا وإّما أن تقتل.

-استخدم كذلك التشبيه في قوله:" الزواج مثل شراء حبة أناناس" فشبّه سهولة الزواج في باماكو كسهولة شراء حبة الفاكهة، ووجه الشبه هو تلك السهولة في الطرفين، فالزواج هنا بدون مقدمات بدون حسابات بدون تكاليف بدون مراسيم.

-"مرض النوم" تشبيه بليغ:حيث شبه النوم بمرض يصيب الإنسان فيلازمه ولا يكاد ينفك عنه، يحذف الأداة ووجه الشبه الذي هو اللّزوم والبقاء مع الإنسان طول الوقت، فسكان "تنزانيا"ابتلوا بمرض صعب العلاج وهو النوم طوال اليوم.

-"بلد بنكهة بنزين النيجيري الرأي" كناية عن كثرة المركبات والسيارات والدرّاجات (وسائل النقل) فأصبحت المدينة تعج برائحة الوقود.

***المكان والزمان:**

أعطى الرحالة "نجم الدين" عناية كبيرة يوصف الأمكنة التي من خلالها تمارس أفعال، فتجري أحداث متنوعة، ومن بين الأماكن التي ذكرها الرحلة بكثرة في روايته الفنادق التي تعدّ من أهم الأماكن التي يستريح فيها الزوّار (السياح)، فالفنادق في غينيا الاستوائية "قليلة وأثمانها مرتفعة وايجاد فندق هو نصر مؤزر، وقد وجدت

فندقا فارغا واستغربت لذلك..."[1]فنلاحظ أن الفنادق غالية في غينيا، ونجد الشيء نفسه في مونغو: "من الصعب أن تعثر على فندق في مونغو".[2]

كذلك ذكر الرحالة"المقاهي"وهي أماكن لتجمع الناس ومحادثتهم والنهل من ثقافاتهم وأفكارهم يقول:"فجلست في المقهى الفرنسي على الرصيف كانت أرتال من السيارات السوداء الضخمة تمرّ بسرعة ووسط ومؤخرة السيّارات مركبات عليها صواريخ...."[3]فالمقاهي أماكن يمارس فيها النصب على النّاس، ثمّ وصف الكاتب الشوارع من خلال تواجده فيها:"إن بعض الشوارع نظيفة جدّا لا تتراكم الأتربة على حوافها، بينما كانت هناك نسوة مكانس من القشّ تكنس بعض الأتربة مع أنّ المكان نظيف ومرتب".[4]

كما ربط الكاتب رحلته بالزمن، فلا يمكن إيجاد رحلة دون زمن محدد لها ومرتبطة به هي، وربط "نجم الدين" بين الزمان والمكان والشخصية ربطا محكما "في اليوم الرابع من إقامتي في السودان يوم 30يناير خرجت مبكرا من الفندق الصيني الذي أيم فيه كان هناك عمل بانتظاري في صبيحة هذا اليوم الذي اتفق هنا أنه يوم اندلاع الثورة".[5]

واستخدم "نجم الدين" خاصيتي (الاسترجاع والاستباق) في روايته أمّا الاسترجاع فهو ذكر حدث سابق عن الزمن"مضت سنوات عندما زرت السودان وحتى الآن لا أعلم أين قضيت ليلتي الأولى"[6]، فهنا هو يسترجع حدثا ماضيا، أمّا الاستباق فهو الحديث عن المستقبل قال:"سنلتقي إذا لم تقم الثورة لأن الناس قرّرت أن يحصل

---

[1]الرواية، ص53.

[2]الرواية، ص60.

[3]الرواية، ص45.

[4]الرواية، ص21

[5]الرواية، ص 14

[6]الرواية، ص 10.

ذلك المرة"[1]، فالكاتب يتوقّع أنّ الثورة إذا حدثت يمكن أن تؤدّي إلى تغيّرات كبيرة أو اضطرابات تؤدّي إلى خسائر بشرية وماديّة وتغيّر في أنظمة الحكم وهذا ما يريده الشعب المتطلّع إلى مستقبل أفضل.

خلاصـــة:

ولذلك ارتبط النص الروائي في بعده الفني، بتوضيح المعايير الفنية والجمالية التي جعلت من النص باعتباره رحلة توثيقية، ليتحول من التسجيلية إلى الأدبية، وذلك عبر استعماله للغة مفعمة بالشعرية، ومواقف يتجاوز فيها الوصف التسجيلي إلى وصف يوحي بالانسجام العاطفي والروحي بين الشخصيات عبر لغة سردية تفتت وتشرح الواقع، من منظور فني، وقد تحقق ذلك عبر أدوات سردية يمكن تلخيصها في النقاط التالية:

-اللغة الشعرية وتوظيف التصورات الذهنية وربطها بالمواقف الشعورية.

-الصور الشعرية البارزة في توظيف الأساليب والصور البلاغية المختلفة

- الأساليب الإنشائية التي تتجاوز التسجيل إلى التخييل.

-شرح المواقف والأحداث من خلال إعطاء الأهمية البالغة لسلطة الذات المبدعة بمشاعرها وأحاسيسها المختلفة.

[1] الرواية، ص15

خاتـمـــة

خاتـمـــــة:

وفي ختام بحثنا هذا، وبعد أن تعمقنا في دراسة موضوع بحثنا يمكن استخلاص النتائج التالية:

1-يعتبر فن الرحلة من أبرز الفنون النثرية التي ترتبط بالإنسان وعلاقته بالجغرافيا كمكان محدود المعالم، وبجغرافيا السرد التي تتمثل في رصد الخصوصية الثقافية والبنية الأنثربولوجية للإنسان والمكان.

2-تعد الرواية جنسا أدبيا منفتحا عللاى باقي الأجناس الأدبية، وتعد الرحلة من الفنون السردية الوثيقة الصلة بالرواية، وذلك بالنظر إلى مجموعة من الخصائص والقواعد السردية المشتركة بينهما.

3-يندمج الخطاب الرحلي بالخطاب السردي الروائي، في صورة تربط بين سمتين متلازمتين ومكملين لبعضها البعض، وهما البنية السردي والبعد الفني والجمالي، مقابل البعد الواقعي التسجيلي الذي يطغى على الرحلة كخطاب موتزي للرواية.

4-مثلت رواية رحلات جزائري في ربوع إفريقيا بعدا دراميا خياليا، يجمع بين سلطة الواقع وحتمية الرؤية الفنية ،التي تفرضها البنية الداخلية للنص الروائي باعتباره فنا أدبيا.

5-ينم الخطاب الروائي موضوع الدراسة عن ذات عارفة ومدركة لما تعيشه الإنسانية في عصر التناقضات الذي أفرز بدوره قارئا يبحث في ما وراء الخطاب اللغوي ليربط بين ما يفرضه الواقع ، وما ترمي إليه الذات المبدعة.

6-تكشف الرواية عن إفريقيا هذه الحضارة العريقة بما تحمله من مناظر طبيعية، توحي بتعدد جغرافي تكشف عنه تلك المناظر الطبيعية الخلابة، كما تكشف عن عاداتها وتقاليدها المختلفة والمتنوعة ، وما تحتويه من هوية تاريخية ودينية مشتركة.

7- انعكست طبيعة البيئة والمناخ الذي تتميز به المنطقة على طبائع أبنائها، فتنوعت بين السماحة والكرم وحب الضيافة(شمال إفريقيا)، وبين الغلظة والقساوة والمادية المفرطة(جنوب إفريقيا)، وهذا إنما راجع إلى الظروف المناخية، وتدني المستوى المعيشي، والاقتصادي.

8- وجود العديد من المرافق الجيدة في الدول الأفريقية كالفنادق والمقاهي والبيوت التي تمتاز بالترف في بعض الأحيان وهذه المناطق استقطبت الكاتب.

9-كشف لنا نجم الدين عن بعض الأفكار والأحكام والمغالطات عن سكان إفريقيا وخاصّة ما تعلّق بالجانب السلوكي للناس إذ الشائع عنهم أنّهم شعب همجي غير متحضر شرير لكنّه يبين لنا عكس خاصة عند بعض الشعوب التي زارها من أمثال الشعب السوداني والشعب المالي.

10-كذلك وضح لنا بعض المغالطات التي يعتقدها البعض أن أفريقيا بلد الحر والمناخ الصعب والصحراء القاحلة وقد وجد الكاتب العديد من المناظر الطبيعية التي سلبت لبّه.

11-وجود الذات الجزائرية في هذا النص والتي حماها الكاتب في زياراته، وتتضح من خلال حبه لكرة القدم الجزائرية إذ أنّه ذهب خصيصا لأجل مناصر المنتخب الوطني ونشر هذه المباريات للعالم(لأنه صحفي).

12-وجود اختلافات بين المجتمع الجزائري (الأنا) والمجتمع الأفريقي (الآخر) من ناحية الأكل، اللباس، الزواج، المعتقدات...الخ

-13-استعمل الكاتب عدة أساليب في عناوين نصوصه لإثارة القارئ ودفعه للولوج في عالم روايته منها: أسلوب المفارقة وأسلوب السخرية والتهكم.

14-احتفى النص بالكثير من مظاهر الجمال السّردي، والصور البيانيّة التي إنْ دلّت على شيء فإنها تدلّ على ثراء القاموس اللغوي للكاتب واطلاعه على فنون الكتابة.

المصادر

*القرآن الكريم برواية ورش عن نافع المدني.

المصادر والمراجع:

أوّلا: المصـــــادر:

1. ابن فارس مقاييس اللغة، تج: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ج2، 1979.
2. ابن منظور: لسان العرب، تح: عامر أحمد حيدر، مج: 11، الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2003.
3. أبو حامد الغزالي، أحياء علوم الدين، مج4، دار المنهاج للنشر والتوزيع ، السعودية، ط1، 2017.
4. أبو عبد الله محمد ادريس الشافعي، ديوان الشافعي، جمع وشرح اميل بديع يعقوب، دار الكتاب العربي، ط1996.
5. د.جوهري: مقدمة في دراسة الانثروبولوجيا، ط1.
6. نجم الدين سيدي عثمان، رحلات في ربوع افريقيا.

ثانيا: المراجـــع:

1. أحلام عثامنية: محاضرات في أدب الرحلة الجزائري، قسم اللغة والأدب العربي، جامعة 8 ماي 1945، قالمة،2020/2019.
2. بيل حداد: تداخل الأنواع الأدبية، المجلد الأول، عالم الكتاب الحديث وجدار الكتاب العالمي، الأردن، ط1، 2009.
3. جابرعصفور، الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي، دار الثقافة للطباعة والنشر، مصر، ط3، 1992.
4. جبولر عبد النور: المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، لبنان، بيروت، ط2، 1984.
5. جوهري علياء شكري: مقدمة في دراسة الانثرولوجيا، الدولية للاستثمارات الثقافية، ط1، 2008.
6. حسن الساعاتي،علم الاجتماع القانوني، مكتبة الأنجلو المصرية- القاهرة،ط3، 1968.
7. حسين فهيم: أدب الرحلات، سلسلة المعارف، المجلس الوطني للفنون والثقافة والآداب،1989، الكويت.
8. خولة بوصيع: التداخل الأجناسي بين الرواية والمذكرات، مجلد15، 2025.
9. د.عبد اللاوي ليندة: محاضرات في الانثوغرافيا، جامعة أوبكربلقايد، تلمسان، كلية العلوم الاجتماعية.

10. الزهرة بوجفجوف: المقاربة الأثنوغرافية في المجتمعات الافتراضية توجه بحثي معاصر في الفضاء الإتصالي الجديد جامعة باجي مختار، عنابة، الجزائر، 2022.

11. سعد فهد الذويخ: صورة الآخر في الشعر العربي من العصر الأموي حتى نهاية العصر العباسي، عالم الكتب الجديدة طباعة ونشر وتوزيع الأردن، دط، 2008.

12. سميرة أساعد: الرحلة إلى المشرق في الأدب الجزائري دراسة في النشأة والتطور والبنية، دار الهدى، 2009.

13. شعيب حليفي: الرحلة في الأدب العربي، شركة الأمل للنشر والطباعة، أبريل 2002.

14. شفيقة بن الشارف: أدب الرحلة الجزائري، المجلد11/ العدد01، جوان 2024.

15. صلاح السامي: الإسلام والفكر الجغرافي، مطبعة الإسكندرية، مصر، ط2، 1999.

16. صلاح فضل: بلاغة الخطاب وعلم النص، دار الكتاب المصري القاهرة ، بيروت، ط1، 2004.

17. عبد الحميد بورايو، الأدب الشعبي الجزائري، دراسة أشكال الأدب في الفنون الشعبية في الجزائر، دار القصبة للنشر، الجزار، دط، دت.

18. عبد اللطيف العوفي : البحوث النوعية في الدراسات الاعلامية ، مطابع التقنية للأوفست ، الرياض ، المملكة العربية السعودية ، 1425 هـ ، ص292.

19. عبد اللطيف العوفي: البحوث النوعية في الدراسات الاعلامية، مطابع التقنية للاوفست، الرياض المملكة العربية السعودية، 1425، ص292.

20. عبد المالك مرتاض: في نظرية الرواية: دار الغرب للنشر والتوزيع د، ط، 2005.

21. علم الأنسان التطبيقي: www arwikipediaorg /wrik /05/ 2016/03

22. عمر بن قينة، في الأدب الجزائري الحديث، تاريخا وأنواعا، قضايا وأعلاما، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط2، 2009.

23. عناصر عبد الرزاق الموافي: الرحلة في الأدب العربي، دار النشر للجامعة المصرية، مكتبة الوفاء، ط1، مصر،1995.

24. فاطمة موسى بين أدبين دراسات في الأدبين العربي والانجليزي، الأنجلو المصرية 1965.

25. فاطمة موسى، بين أدبين دراسات في الأدبين العربي والإنجليزي، الأنجلو المصرية 1965.

26. فيليب لابورت: انثولوجيا انثروبولوجيا.

27. قسمومة الصادق: نشأة الجنس الروائي بالمشرق العربي، دار الجنوب للنشر، تونس، ط1، 2004.

28. كارل قون ليني: عالم سويدي مختص في العلوم الطبقية العلوم البيولوجية.

29. كتب إسلامية عامة، الثقافة مفاهيم ومقاربات جامع الكتب الاسلامية، المجلد1.

30. كريم الكواز، البلاغة والنقد، المصطلح والنشأة والتجديد الانتشار العربي-بيروت، لبنان، ط1، 2006.

31. مجدي وهبة وكامل مهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، ط2، 1948.

32. محمد القاضي وآخرون: معجم السرديات، دار محمد للنشر، تونس،2010.

33. محمد بن أحمد بن يوسف الخوارزمي، تح: إبراهيم الأنباري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط2، 1989.

34. محمود حسين: أدب الرحلة عند العرب، دار الأندلس، بيروت، ط2، 1983.

35. مذكرة ماستر تفاعل المكان والمعرفة في حركة التواصل الرحلاتي رحلات أبي رأس الناصري،2024/ 2025.

36. ناصر عبد الرزاق العلوي، أوروبا في مرآة الرحلة صورة الآخر في الرحلة المغربية المعاصرة، الأهلية للنشر والتوزيع، ط1، 2026.

37. نوال عبد الرحمان الشوابكة: أدب الرحلات الأندلسية والمغربية حتى نهاية القرن التاسع الهجري، دار المأمون للنشر والتوزيع، ط1، المملكة الأردنية الهاشمية.

38. هيثم محمد حديثاوي، المفارقة في شعر أبي علاء المعري، دراسة تحليلية في البنية والمغزى، مؤسسة حمادة للنشر والتوزيع، دار اليازوري، الأردن، د ط، 2012.

ثالثا: المجلات:

1. انجيل بطرس: الرحلات في الأدب الإنجليزي، مجلة هلال، العدد7 السنة 83، يوليو1975.

2. خديجة صالح: تداخل الأجناس الأدبية من منظور النقد العربي القديم، مجلة إشكالات، العدد 10، ديسمبر 2016.

3. فاتح رجب قدارة: التأريخ للأحداث المعاصرة من خلال المذكرات والشهادات الشخصية، مجلة أسطور، العدد6، المركز العربي للأبحاث والدراسات، ليبيا، يوليو 2017.

4. مجلة الذاكرة، تصدر عن مخبر التراث اللغوي والأدبي في الجنوب الشرقي الجزائري، العدد 9، جوان2017.

رابعا: الاطروحات والمذكرات الجامعيّة:

1. جميلة دوباش: أدب الرحلة في المغرب العربي، أطروحة الدكتوراه، جامعة بسكرة ،2015.
2. جميلة روباش: أدب الرحلة في المغرب العربي، مذكرة ماجستار، جامعة باتنة،2015/2014.
3. شنوان حمزة: النقد الثقافي في النظرية الأدبية، مذكرة لنيل شهادة ماستر، كلية الآداب واللغات والعلوم الاجتماعية والإنسانية، 2011/ 2012.

خامسا: المواقع الإلكترونيّة:

1. إسلام ويب، مقالة العقيدة الإسلامية "السحر والجن والحسد" تاريخ النشر 2006/02/19.

ملخص الدّراسة

ملخّـص الدّراســة:

تميل النفس البشرية دائما إلى حب الاكتشاف والرغبة في السفر إلى بيئات أخرى، والرحلة هنا ليست مجرد انتقال من مكان إلى مكان وليست مجرد وسيلة للترويج عن النفس، بل هي أداة لاكتشاف عالم آخر يحمل لنا ثقافات وعادات وتقاليد أخرى. ومن هنا جاء أدب الرحلات ليفتح لنا نافذة نطلع من خلالها على أمم أخرى قد تتفق معنا أو تختلف في جوانب التفكير وأنماط الحياة انطلاقا من هذه الفكرة جاء بحثنا الموسوم بـ "أنتوغرافيا الخطاب الرحلي بين التوثيق والأدبية، روايات رحلات جزائري في ربوع أفريقيا" لنسلط الضوء فيه على بعض الشعوب الأفريقية التي تشترك معنا(كجزائريين) في الرقعة الجغرافية لكنها تختلف معنا في كثير من المجالات الأخرى.

فجاء بحثنا مقسما بين مقدمة، وفصلين(نظري وتطبيقي) أما النظري فقد حوى بعض المفاهيم النظرية مثل: الرحلة وأدب الرحلات، المنهج الانثوغرافي وعلاقتها بالأدب، أمّا الفصل التطبيقي فأخذنا في الولوج إلى عالم الرواية (رحلات جزائري في ربوع أفريقيا) أين حاولنا أن نستخلص أوجه الاتفاق والاختلاف بين (الآنا) الجزائري والآخر الأفريقي في العديد من جوانب الحياة السياسية، الدينية، الثقافية ...إلخ، ثم أنهينا بحثنا هذا بخاتمة عرجنا فيها على أهم النتائج والاستنتاجات التي خرجنا بها من هذا البحث.

الكلمات المفتاحية أين هي: أدب الرحلة– الرحلة – المنهج الانثوغرافي– الأنا والآخر.

Study Summary:

The humanpsycheisalwaysinclinedtowards a love of discovery and a desire to travel to otherenvironments. The journeyhereis not merely a transferfrom one place to another, norsimply a means of self-promotion, but rather a tool for discoveringanother world thatbrings us other cultures, customs, and traditions.

Hence came travelliterature to open a windowthroughwhichwe can look at other nations thatmayagreewith us or differfrom us in aspects of thinking and lifestyles. Based on thisidea, ourresearchentitled “Anthography of Travel DiscourseBetween Documentation and Literature: Algerian Travel Narratives in Africa” came to shed light on someAfrican peoples whosharewith us (as Algerians) the geographical area but differfrom us in manyother areas.

Our researchwasdividedinto an introduction and twochapters (theoretical and applied). The theoreticalchaptercontainedsometheoretical concepts suchas: the journey and travelliterature, the ethnographicmethod and itsrelationship to literature. As for the appliedchapter, wedelvedinto the world of the novel (The Journeys of an Algerian in the Lands of Africa), wherewetried to extract the points of agreement and differencebetween the Algerian “self” and the Africanother in many aspects of political, religious, cultural life, etc. Then weconcludedourresearchwith a conclusion in whichwetouched on the most important results and conclusions thatwe came up withfromthisresearch.

The keywords are:travel literature - travel - ethnographic approach - self and other.

الفـــهـــــرس

العنـــــوان	الصفحة
الشكر والتقدير	
الإهـــــداء	
مقـــدمـــــة	**أ–ب– ج–د**
الفصل الأول: الإطار النظري والمفاهيمي	
تمهيـــد	7
1 . مفهوم الرحلة لغة واصطلاحًا	8
2 . مفهوم أدب الرحلة.	10
3 . مفهوم الانثوغرافيا.	11
4 . الانثوغرافيا بوصفها ثقافيا.	14
5 . انتقال الانثوغرافيا إلى الأدب.	15
6. انتقال مفهوم الرحلة إلى الأدب.	17
7 . بين الرحلة والرواية.	19
8 . خصائص أدب الرحلة.	20
9 . أدب الرحلة الحديث التحول من الوصف إلى الرواية.	22
10 . علاقة الرحلة باليوميات والشهادات والمذكّرات.	24
خلاصـــة	27
الفصل الثاني: تجلّيات الخطاب الرحلي في رواية "نجم الدين سيدي عثمان"	
تمهيد	**30**
1–ارتباط الرواية بالذات الإبداعية.	31
2–استعماله للعناصر السردية التي تؤكد ذاتيته (ضمير الأنا ونظرته للآخر الافريقي)	33
3–أبعاد الخطاب الرحلي في الرواية.	37
1.3–البعد الايديولوجي والسياسي.	37
2.3–البعد الديني.	46
3.3– البعد الثقافي:	49
أ–العادات والتّقاليد	51
ب–المعتقدات الشعبية	60

3.4-البعد الفنّي والأدبي	65
خلاصـــة	74
خاتمـــــة	76
المصادر والمراجع	78
ملخص الدّراسة	